الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٨ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

أو منهوم يرغب المال ، أو محروم يطلب الوظيفة .

زوروا المعرض الزراعى الصناعى تجدوا مصر التى لا تقرأونها فى صحيفة ، ولا تسمعونها فى خطبة ، ولا تبصرونها فى مظاهرة ، ولا تقابلونها فى ملهى ، ولا تحادثونها فى حزب ! هى تجرى مع الزمن فى سكون ، وتعمل مع الطبيعة فى صمت ، وتتشقق عن ثمار النبوغ كما تتشقق الأكمام عن أريج العطر فى هدوء الغسق !

زوروا أيها المفاوضون عن الحليفة المتجنّية معرض الجزيرة قبل أن تدخلوا سراى العباسية ، تلمسوا فى كل ناحية من نواحى النشاط الصناعى ألف دليل ودليلا على نضوجنا المدنى ؛ لأن الإنتاج الزراعى إذا رجع إلى عمل الله وفطرته ، فإن الإنتاج الصناعى مرجعه إلى فكرة الإنسان وقدرته ؛ وقد عدَوْنا ذلك الطَّور منذ سنين ، وأصبحنا نُصَرِّف عمل الطبيعة ، ونستخدم ثروة الارض ، ونساهم بحذق فى ترفيه الإنسان

* * *

بين الهرم والنيل شاهدى القرون وعَيْنى الاسلاف ، احتشدت مصر الحديثة حكومةً وأمة ، تقدم إلى أمسها الحسابَ الذى يبرئ الذمة ، وإلى يومها العمل الذى يجدد الطريق ، وإلى غدها الأمل الذى يحدد الغاية !

الزارع والصانع والتاجر والعالم والأديب والموظف قد أثبتوا بهذا العرض الموفق فى إخلاص غير غالٍ ولا مفتعَل ، أن مصر التى تسير فى مؤخرة الدول بسياسة الكلام ، تجرى فى مقدمة الشعوب بسياسة العمل !

ودلالة ذلك أن بين الأمة وقادتها حجاباً من الجهل والعزلة لا ينفذ منه الشعاع ، ولا تنعكس عليه الروح ، ولا ترتسم فيه مقاييس التقدم ! على أن أكثرنا لا يزيد علمه بهذا البلد المظلوم على علم هؤلاء القادة ؛ فقد كنا نرى فى المعروضات الأهلية والحكومية نفائس الصناعة ودقائق الفن ، من ضروب اللباس والأثاث والآنية والزينة ، فيداخلنا الشك فى أنها مصرية ! ولكننا نرى بجانبها الآلة تدور ، والصانع يعمل ، والمنتوج يخرج كالمعروض فى دقته وأناقته ، فيستولى على المرء شعور قوى غريب ، فيه الخجل من سوء الظن ، وفيه اللذة من دهشة المفاجأة ، وفيه الاقتناع بصحة النهضة ، وفيه الاطمئنان على سلامة الوطن . هذا الانتاج الفاخر هو الذى يقدمه إليك التاجر الأوربى فى بيوت البيع الكبيرة بلسانه المعسول وغلافه المقبول وكلمته الواحدة وسِمَته المزورة ، فتشتريه بالثمن الغالى على أنه وارد من وراء البحر ، قد تجشم أكلاف النقل ، وتكلف رسوم الجرك ، وتكبد أضرار الخسارة ، وهو مصرى اشتراه الأوربى بالغبن وباعه بالخديعة ، وحرم الصانع المصرى المسكين أجر العمل بسرقته القيمة ، ومجد الصنعة بسرقته النسبة . وعلة ذلك كله أن المنتج المصرى قد جعل الكذب جزءاً من رأس المال ، وأن المستهلك المصرى قد جعل المساومة شطراً من الثمن ، فكان لابد من هذا الوسيط الأجنبى بينهما ليستر بخداعه كذب المنتج ، ويبطل بمهارته مساومة المستهلك !

* * *

معرض هذا العام قطعة من الفن العجيب عملت فيها يدٌ صَنَاعٌ وفكرةٌ فنَّانة ؛ فالوزارات والمصالح تتقدمها وزارة المعارف ووزارة الزراعة من جهة ، والشركات والجمعيات تتزعمها شركات بنك مصر والجمعية الزراعية من جهة أخرى ، تضافرت كفاياتها وتسايرت رغباتها على تمثيل النشاط المصرى هذا التمثيل الناطق الصادق المعبر ، فلا تجد عملاً من أعمل اليد ، ولا أثراً من آثار الذهن ، إلاّ منظوماً بفن ، ومعروضاً بذوق ، ومشروحاً بخبرة ، حتى أخلاق الموظفين والمنظمين والعارضين والمتفرجين — إذا استثنيت جزءاً من إدارة المعرض — تجرى على هذا النسق البديع من الجمال والنظام والدقة ! وسنقف بعد هذه النظرة الخاطفة والكلمة العجلى على كل قسم من أقسام المعرض فنستنبئه عن أمره ، ونستكشفه عن سره ، ثم نطالعك بما نلاحظ من أسبوع لأسبوع . . .

احمد حسن الزيات

٢ ـ الزاهـــدان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين : وانتشر حديثُ السمكة فى أهل (بلخ) ، واستفاض بينهم ، وكنتُ قَصَصْتُه عليهم يوم السبت . فلما دار السبتُ من أسبوعه لقيني شيخهم حاتم ابن يوسف (لقمان الأمة) ومعه صاحبُه أبو تراب ، فقال : يا أحمد ! لكأنك فى هذه المدينة قمرٌ طلع بالليل فلا يعظ الناسَ فى يوم السبت غيرك ؛ ومن سمع فكأنه عاين ، وليس على ألسنة أهل بلخ منذ تحدثتَ إلا بِشْرٌ وابنُ حنبل ، ولا على بال أحد منهم إلا موعظتك وحديثك . والكلامُ عن الصالحين فى مثل ما وصفتَ وحكيتَ قُربٌ من حقائقهم ، وسموٌّ إلى معانيهم ؛ وليس فى القول بابٌ له موقع كموقع القصة عن هؤلاء الذين يخلقهم الله فى البشرية خلقَ النور ، يضيء ما حوله من حيث يُرى ، ويعمل فيما حوله من حيث لا يُرى ، وفى ظاهره الجمال والنفعة ، وفى باطنه القوةُ والحياة . ولست أقول لك اذهب فحدِّث الناس ، ولكني أقول اذهب فأعط الناسَ عقلا من الحديث

قال ابن مسكين : فلما صلينا العصر قدمني أبو تراب فجلست فى مجلسي ذاك ، وهتف بى الناسُ يريدون الحديث عن بشر الحافى وما سقط لى من أخباره على الطريقة التى حدثتهم بها من قبل ، فابتدأتُ بذكر موته رحمه الله وأن يومه كأنما اجتمع له أهل خمس وسبعين سنة (١) ، إذ خرجت جنازته بعد صلاة الصبح فلم يحصل فى قبره إلا فى الليل مما احتشد فى طريقه من الخلق ، حتى لكأن فى نعشه سرا من أسرار الجنة فى هذا ، فخرجوا ينظرون اليه ، وكانوا يصيحون فى جنازته : هذا والله شرفُ الدنيا قبل شرف الآخرة.

ثم قلت : حدثني حسين المغازلى (٢) أن بشراً رحمه الله كان لا يأكل إلا الخبز تورعاً عن الشبهات واكتفاء لضرورة الحياة بالأقل الأيسر ، وكان يقول فى ذلك : يدٌ أقصر من يد ، ولقمة أصغر من لقمة . وسئل مرة : بأيّ شيء تأكل الخبز ؟ فقال : أذكر العافيةَ فأجعلها إداماً . وقد أعانه على ذلك أنه لم يتزوج ، وكان يرى هذا نقصاً فى نفسه حتى فضّل الامام أحمد بن حنبل بأشياء منها أن له أهلا ؛ غير أنه قيل له ذات يوم : لو تزوجت تمّ نُسُكك ؛ فقال : أخاف أن تقوم الزوجةُ بحقي ولا أقوم بحقها ، فكانت هذه النية فى نفسه أفضل من زواجه

وكان مع هذا لا يؤاكل أحدا ولا يسعى إلى لقاء أحد حتى إنه لما رغب فى مؤاخاة الزاهد العظيم معروف الكرخي أرسل اليه الأسودَ بن سالم وكان صديقا لهما ، فقال لمعروف : إن بشر بن الحارث يريد مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك ، وقد أرسلني اليك يسألك أن تعقد له فيما بينه وبينك أخوة يحتسبها ويعتد بها ، إلا أنه يشترط فيها شروطاً : أولها أنه لا يحب أن يشتهر ذلك ، وثانيها ألا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة ؛ فقال معروف : أما أنا فاذا أحببتُ أحداً لم أحب أن أفارقه ليلا ولا نهاراً ، وأزوره فى كل وقت ، وأوثره على نفسى فى كل حال ؛ وأنا أعقد لبشر أخوةً بيني وبينه ولكني أزوره متى أحببت ، وآمره بلقائي فى مواضع نلتقى فيها إذا هو كره زيارتي

قال حسين المغازلى : وكان هذا كله من أمر بشر معروفاً فى بغداد لا يجهله أحد من أهلها إذ لم يكن لبغداد إمام غيره وغير ابن حنبل ؛ فما كان أكثر عجبي حين كنت عنده يوماً وقد زاره فتح الموصلي ، فقام فجاء بدراهم ملء كفه ودفعها إلى وقال : اشتر لنا أطيب ما تجد من الطعام ، وأطيب ما تجد من الحلوى ، وأطيب ما تجد من الطيب ؛ وما قال لى مثل ذلك قط ، وهو الذي رأى الفاكهة يوماً فقال : ترك هذه عبادة ! وهو القائل لأبي نصر الصياد : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة (١)

(١) مات رحمه الله عن خمس وسبعين سنة

(٢) نسبة الى عمل المغازل ، وكان حسين هذا صديقاً لبشر ، وكان — بشر يعمل المغازل ويعيش من ثمنها ، ومن كلامه لابن أخته عمر : يا بني اعمل بيدك فان أثره فى الكفين أحسن من أثر السجدة بين العينين . هكذا كانوا

(١) مر هذا فى مقال (السمكة) فى العدد الماضى من الرسالة

فذهبت فاشتريت وانتقيت وتخيَّرت ، ثم وضعت الطعام بين أيديهما فرأيته يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره ، ورأيته منبسطاً إليه وما لى عهد كان بانبساطه إلى أحد . وقد كنت أخبرته فى ذلك النهار بخبر أحمد بن حنبل علمتُه من أدريس الحداد ؛ فانه لما زالت المحنةُ بعد أن ضُرب بين يدى المعتصم وصُرف إلى بيته ، حمل إليه مال كثير من سرَوات بغداد وأهل الخير فيها ، فردَّ جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيراً ، وهو محتاج إلى أيسره ، وإلى الأقل من أيسره ، وإلى الشيء من أقله ، فجمل عمُّه اسحق يحسبُ ما ورد فى ذلك اليوم فكان خمسين الف دينار ، فقال له الامام : ياعم أراك مشغولا بحساب مالا يفيدك . قال : قد رددت اليوم كذا وكذا الفاً وأنت محتاج إلى حبة من دانق . فقال الامام : ياعم لو طلبناه لم يأتنا ، وإنما أتانا لما تركناه

***

قال المَازلى : فنمت تلك الليلة وأنا أفكر فى صنع الشيخ وقد تملى خاطرى به كيف انقلبت الحال معه ، وأى شيء هذه الحال ، وجعلت أكدُّ ذهنى لأعرف الحقيقة العقلية التى سلَّطت عليه هذه الضرورة فتسلط النعيم على نفسه ، وأنا أعلم أن للقوم علوماً روحانية ليست فى الكتب ، فمنها ما لا يتعلمونه إلا من الفقر ، ومنها ما لا يتعلمونه إلا من البلاء ، ومنها ومنها ، ولكن ليس منها ما يتعلمونه من اللذات والشهوات ؛ وذهب قلبى إلى أوهام كثيرة ليس فى جميعها طائل ولا بها معرفة ، حتى غلبتنى عيناى وأنا من وهج الفكر نائمٌ كالمريض وقد ثقل رأسى واختلط فيه ما يُعقل بما لا يُعقل

فرأيت أول ما رأيت ملكا جباراً يحكم مدينة عظيمة وقد أطلق المنادى فى جمع كل أطفال مدينته فجيء بهم من كل دار ، ثم رأيته قد جلس على سريره وفى يده مقراض عظيم قد اتخذه على هيئة نصلين عريضين لو وضعت بينهما رقبة لفصلاها عن جسمها ؛ فكان هذا الجبار يتناول الطفل من أولئك فيضع أصابع إحدى قدميه فى شق المقراض فيقرضها فاذا هى تتناثر أسرع مما يقرض المقصُّ الخيط ، ثم يرى بالطفل مغشياً عليه ويتناول غيره فيبتر أصابعه والأطفال يصرخون ؛ وأنا أرى كل ذلك ولا أملك إلا غيظى على هذا الجبار من حيث لا أستطيع أن أمضىَ فيه هذا الغيظ فأفرضَ عنقه بمقراضه

ثم رأيته يأخذ طفلا صغيراً ، فلما جاءت قدم الطفل بين شق المقراض صاح : يارب ، يارب ! فاذا المقراض يلتوى فلا يصنع شيئاً وكأن فيه حجراً صلداً لا قدماً رَخْصَة . فتميز الجبار من الغيظ وقال من هذا الطفل ؟ فسمعت هاتفاً يهتف : هذا بشر الحافى ! لا يبلغ تاج ملك فى الأرض أن يكون لقدمه الحافية نعلا عند الله !

وكان إلى يمينى رجل يتوضأ وجهه صلاحاً وتقوى ، فقلت له : من هذا الطاغية ؟ ولم اتخذ المقراض لأقدام الأطفال خاصة ؟

فقال : ياحسين ! ان هذا الجبار هو ذل العيش ، وهذا وسمُه لأهل الحياة على الأرض يحقق به فى الانسان معنى البهيمة أولَ ما يدب على الأرض حتى كأنه ذو حافر لا ذو قدم

قلت : فما بال هذا الطفل لم يعمل فيه المقراض ؟

قال : إن لله عباداً استخصهم لنفسه ، أول علامته فيهم أن الذل تحت أقدامهم ، وهم يجيئون فى هذه الحياة لاثبات القدرة الانسانية على حكم طبيعة الشهوات التى هى نفسها طبيعة الذل ؛ فاذا اطرح أحدهم الشهوات وزهد فيها ، واستقام على ذلك فى عقد نية وقوة ارادة ، فليس ذلك بالزاهد كما يصفه الناس ، ولكنه رجل قوى اختارته القدرة ليحمل أسلحة النفس فى معاركها الطاحنة ، كما يحمل البطل الأروع أسلحة الجسم فى معاركه الدامية . هذا يُتعلم منه فن وذاك يُتَعَلَم منه فن آخر ، وكلاهما يرمى به على الموت لايجاد النوع المستمز من الحياة ، فأول فضائله الشعورُ بالقوة ، وآخر فضائله ايجاد القوة

***

قال المغازلى : وضرب النوم على رأسى ضربة أخرى فاذا أنا فى أرض خبيثة داخنة قد ارتفع لها دخان كثيف أسود يتغرب بعضه فى بعض ، وجعلت أرى شعلاً حمراً تذهب وتجيء كأنها أجسام حية ، فوقع فى وهمى أن هؤلاء هم الشياطينُ : ابليسُ

وجنودُه وسمعتُ صارخاً يقول : يا بشرى ! فلتبك السماءُ على الأرض ، لقد أكل بشر الحافى من أطيب الطعام وأطيب الحلوى بعد أن استوى عنده حجرها ومدَرُها ، وذهبُها وفضتها ! فعارضه صائح أسمع صوته ولا أرى شخصه : ويلك يا زَلَنْبور (١) ! إن هذا شر علينا من عامة نُسكه وعبادته .

فهذا ويحك هو الزهدُ الأعلى الذى كان لا يطيقه بشر ؛ إنه إعناتٌ سلَّطه على نفسه ، فانى دفعتُ هذا (المغازلىّ) الأعمى القلب ليزين له ما فعل أحمد بن حنبل من رده خمسين ألف دينار على حاجته ، زهداً وورعاً وقوةَ عزم ونفاذَ إرادة ؛ وقلت عسى أن تتحرك فى نفسه شهوةُ الزهد فيحسدَ أو يغار ، أو تعجبه نفسه فيكون لى من ذلك لَمّةٌ بقلبه فأوسوس له فانا نأتى هؤلاء من أبواب الثواب كما نأتى غيرهم من أبواب المعاصى ، ونتورّع مع أهل الورع كما نتسخّف مع أهل السخف ؛ ولكن الرجل رجل وفيه حقيقةُ الزاهد ، فقد أعطى القوة على جعل شهوات نفسه أشخاصاً حية يعاديها ويقاتلها ، فاذا أنا جعلت شهوته فى اللذة قتل اللذة ، وإذا جعلتها فى الكآبة قتل الكآبة ، وليس الزاهد العابد هو الذى يتقشف ويتعفف ، ويتخفف ويتلفف ، فان كثيراً ما تكون هذه هى أوصاف الذل والحمق ويكون لها عمل العبادة وفيها إثم المعصية ، ولكن الزاهد حقّ الزاهد من أدار فى الأشياء عيناً قد تعلمت النظر بحقه والاغضاءَ بحقه ؛ فهذا لا يخطىء معنى الشر إن لبّسناه عليه فى صورة الخير ، ولا معنى الخير إن زوّرناه فى صورة الشر ، وبذلك يضع نفسه فى حيث شاء من المنزلة ، لا فى حيث شاءت الدنيا أن تضعه من منازلها الدنيئة

وما أكلَ بشرٌ هذه الطيبات إلا ليبادر بها وسوستى ويردّنى عن نفسه وعن اللّمة بقلبه ، فلو أنه أعجبه زهد ابن حنبل ونظَر من ذلك إلى زهد نفسه لحبط أجره . فبهذه الطيبات عالج نفسه علاج مريض ، وقد غير على جوفه طعاما بطعام ، كما يبدّل على جلده ثوباً بثوب ، ولا شهوة للجلد فى أحدهما

* * *

(١) هذا اسم بعض ولد ابليس فيما يروى ، وفى بعض النسخ التى بأيدينا انه خنزب لا زلنبور .....

قال المغازلى : وثقل النوم على ثقلةً أخرى فرأيتنى فى واد عظيم وفى وسطه مثل العَود من الحجارة قد ركم بعضُها على بعض . ورأيتنى مع بشر أقصُّ عليه خبر احمد بن حنبل ؛ فقال انظر ويحك ؛ إن الناس يسمونها خمسين ألف دينار وهى هنا فى وادى الحقائق خمسون ألف حجر لو أصابت أحمد لقتلته ولكانت قبره آخرَ الدهر

إن المال يا بنى هو ما يعمله المال لا جوهره من الذهب والفضة ، فاذا كنت بمفازة ليس فيها من يبيعك شيئاً بذهبك فالتراب والذهب هناك سواء . والفضائل هى ذهب الآخرة ؛ فهنا تجدد بالمال دنياك التى لا تبقى أكثر من بقائك ، وهناك تجدد بالفضائل نفسك التى تخلد بخلودها

ومعنى الغنى معنى ملتبسٌ على العقول الآدمية لاجتماع الشهوات فيه ، فحين ردّ احمد بن حنبل خمسين ألفا ، يكون هذا المعنى قد صحح نفسه فى هذا العمل وجهاً من التصحيح

* * *

قال حسين المغازلى : وغطّنى النوم فى أعماقه غطّةً أخرى فاذا أنا فى المسجد فى درس الامام احمد وهو يحدث بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : إذا عظّمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبةُ الاسلام ؛ وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حُرِموا بركة الوحى . وهم أن يتكلم فى تفسيره (١) ولكنه رآنى فأمسك عنه وأقبل على فقال : ياحسين ! إذا اجتزأ شيخك بالرغيف فهذا عنده هو قدر الضرورة ، فان أكل الطيبات فقد عرضت حالٌ جعلت هذه الطيبات عنده هى قدر الضرورة . وفى هذه النفوس السماوية لا يكون الجزء الأرضىُّ إلا محدودا ، فلا يكون محصوله إلا ما ترى من قدر الضرورة

ولما صغُر الجزء الأرضى فى نفوس السلمين الأولين ملكوا الأوض كلها بقوة الجزء السماوى فيها ، إذ كانت إرادتهم فوق الأطماع والشهوات ، وكانت بذلك لا تذل ولا تضعف ولا تنكسر ؛ فالآدمية كلها تنتهى إلى بعض صورهم هؤلاء الذين محلُّهم فى أعلاها

(١) سيأتى تفسيره فى مجلس آخر من مجالس ابن مسكين

أثر الحضارة الاسلامية
فى الاحياء الأوربى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

عصر الاحياء أو إحياء العلوم [1] من أعظم عصور التاريخ الأوربى ؛ وهو بلا ريب مطلع النور والعظمة فى حياة أوربا الحديثة وفى تكوينها السياسى والفكرى والاجتماعى ؛ وفى معترك الاحياء الساطع تذوب ظلمات العصور الوسطى التى خيمت على أوربا منذ سقوط الدولة الرومانية ، وينفتر ليلها الطويل عن حياة جديدة تسرى إلى جنبات القارة القديمة ، فتلتقى من حولها غمر الماضى بقوة ، وتستقبل عصوراً جديدة من القوة والعظمة والسيادة فى جميع مناحى الحياة

وإنا لنشعر ونحن نستعرض تاريخ الأحياء أننا لا نتلو تاريخ أمم أو شعوب معينة ، وإنما نتلو صفحة من أنبل صفحات الانسانية تبهرنا بما حوت من المظاهر والمعانى السامية للعبقرية البشرية . ولقد كان تراث الأحياء وما زال تراث الانسانية كلها ، ذلك أن ثمرات التفكير البشرى هى ملك الانسانية فى كل زمان ومكان ؛ ولم يكن تاريخ الاحياء مدى قرن ونصف فى معظم الدول الأوربية سوى تاريخ العلوم والفنون والآداب التى تفتحت فى ذلك العصر كما تتفتح الأزهار ، والتى بثتها إلى ظلمات العصور الوسطى أرواح وأذهان وعقول ارتفعت فوق العصور والمجتمعات التى ازدهرت بها ، وسمت بمبادئها ومثلها كما سمت بعبقريتها

ولقد كتب تاريخ الأحياء مدى القرون وما زال يكتب فى كل عصر ؛ ولكنه يتخذ دائماً طابعه القومى أو المحلى ، وقلما يكتب من الناحيــة الانسانية المحضة ؛ وإنك لتشعر حتى فيما يكتب عنه من الناحية الانسانية أن العوامل القومية والمحلية تتبوأ دائماً مكانتها وتغشى فيــه كل نزعة أخرى ؛ وكثيراً ما تساءلت وأنا أستعرض هذه الصفحة الباهرة من تاريخ الانسانية ، كيف يغفل مؤرخو الغرب حين يكتبون تاريخ الأحياء عن استعراض صفحة أخرى من تاريخ الانسانية لا تقل عن صفحة الأحياء قوة وجمالاً وروعة هى صفحة الحضارة العربيــة الاسلامية ، وما كان لها من أثر بارز فى بعث عصر الاحياء الأوربى ؟

والحقيقة أن هذه الناحية من تاريخ عصر الأحياء كثيراً ما تغمط حقها وتنكر علائقها وآثارها فى بعثه وتكوينه . بيد أنها تستحق منا نحن الذين يفهمونها ويقدرونها عناية خاصة ؛ وليس يكفى أن نكتب تاريخ الحضارة الاسلامية ، بل يجب أن نعالج آثارها فى تكوين مختلف المدنيات والحركات العقلية الأخرى ؛ ولقد كان الاحياء الأوربى حركة عقلية عظيمة ومطلع حضارة جديدة رائعة ، وكان لحضارة العرب الاسلامى أثرها فى بعث هذه الحركة ، فمن واجبنا أن نستقصى هذا الأثر وأن نعرضه إلى جانب ما يعرض لنا من تطور حركة الاحياء الأوربى

ومن الصعب أن نحاول استعراض هذا الأثر فى مقال أو فصل ، ولكنا نحاول فقط أن نلم ببعض أطرافه العامة ؛ وأخص ما يبدو هذا الأثر فى النواحى الفكرية والاجتماعية من

(١) الرينصانس Renaiseance

يا حسين ! ألا وإن ردَّ خمسين ألف دينار هو كذلك قدرُ الضرورة

قال حسين : وذهبت أعترض على الامام بما كان فى نفسى من أن هذا المال وإن لم يكن من كسْبه ، فقد كان يتحول فى يده عملا من أعمال الخير ؛ وأنسيتُ أن هذه الصدقات هى أوساخ الناس وأقذار نفوسهم ، فلم أكد أفتح فمى حتى رأيت الكلام يتحول طيناً فى فمى ليذكرنى بهذا المعنى ؛ وكدت أختنق فانتفضتُ أتنفّس فطار النومُ والحلمُ

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الى التلميذ العاشق : يابنى ان التلميذ الذى يعشق ويذهب يسأل عن الحب — إما أن يكون فاجرا فهو فى لعنة الله والملائكة ؛ وإما أن يكون خائبا فهو فى لعنة أبيه وأمه ، وإما أن يكون مهملا فهو فى لعنة الكتب والكراريس ...... وان استشارنى زدته لعنتى أنا أيضا

الرافعى

عصر الأحياء ؛ ونلاحظ أن طوالع الأحياء ظهرت بادىء بدء فى إيطاليا وبدت فى الشعر بوجه خاص ، وحمل لواءها الأول شعراء عظام مثل دانتى وبترارك ، حاولوا أن يعيدوا مجد الشعر الرومانى القديم ؛ ولم تكن هذه النهضة الشعرية الرائعة رغم اتجاهها إلى مثل ڤرجيل عميد الشعر الرومانى خالية من تأثير المثل الشعرية فى غرب أوربا . ذلك أن النهضة الشعرية التى أزهرت قبل ذلك بنحو قرن فى بروڤانس (جنوب فرنسا) والتى كانت حركة « التروبادور » الأدبية فى الشعر والقصص من أقوى مظاهرها ، كانت قد أحدثت آثارها فى الحركة الأدبية فى شمال إيطاليا حيث بزغ فجر الأحياء ؛ ولم يكن شعر دانتى بعيداً عن التأثر بعوامل الشعر البروڤنسى ووحيه ، بل لم يكن أسلوب دانتى نفسه بعيداً عن التأثر بالأساليب البروڤنسية ؛ ويرى علماء اللغة فوق ذلك أن اللغة الايطالية الحديثة والتى وضعت أسسها فى عصر الاحياء قد تأثرت فى تكوينها إلى حد كبير بالروح والتراكيب البروڤنسية القديمة ؛ ويشيد دانتى نفسه فى بعض قصائده الكبرى بعبقرية زعماء الشعر البروڤنسى ومثلهم الشعرية ، ويرى فى تيبول ملك ناڤار مثلا أعلى للشاعر ؛ فهذه الظواهر والعوامل كلها تدلل على آثار النهضة الشعرية الغربية فى شعر الأحياء

هذا ومن جهة أخرى فقد كان الشعر البروڤنسى ذاته عرضة لمؤثرات قوية ، من الجنوب فيما وراء البرنيه . وكانت الحضارة الاسلامية فى الأندلس تنفث آثارها منذ القرن التاسع فى شمال اسبانيا وفى غاليس (جنوب فرنسا) ، وكان أثرها بالأخص قوياً واضحاً فى بروڤانس التى كانت مركز الحركة الأدبية فى الجنوب منذ القرن العاشر ؛ وكانت بروڤانس ذاتها مدى حين مستقراً لبعض المستعمرات العربية الغازية التى حملت إلى تلك الأنحاء كثيراً من التقاليد والمؤثرات الاسلامية ، ولا سيما فى شعر الفروسة ، بل لقد سرت هذه التقاليد والمؤثرات إلى الحركات الفكرية والأدبية فى أنكبرديه (لومباردى) ؛ فليس غريباً أن نستخلص من تفاعل هذه المؤثرات والعوامل كلها أن شعر الأحياء لم يكن فى بدايته بعيداً عن التأثر بمؤثرات الحضارة الاسلامية ومؤثرات الشعر الأندلسى عن طريق الشعر البروڤنسى

ومما يبعث حقاً الى الدهشة أن نجد شبها عجيبا فى الموضوع والخيال والتصوير بين « جحيم دانتى » وهى أعظم وأروع آثاره وبين أثر عربى أقدم هو رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبى العلاء المعرى ، مما قد يحمل البعض على الظن بأن دانتى قد وقف بطريقة من الطرق على موضوع رسالة الغفران ، وقد كتبت قبل عصره بأكثر من قرنين ، ومع أن هذا الرأى لم يؤيد بصفة علمية واضحة ، الا أنه مما يلاحظ فى تأييده أن كثيرا من علوم العرب وآثارهم العلمية والعربية كانت معروفة فى شمال إيطاليا عن طريق البندقية منذ القرن العاشر الميلادى

هذا ونستطيع من الناحية العلمية العامة أن نقول أيضا إن بعث الأحياء الأوربى لم يكن بعيدا عن التأثر بمؤثرات العلوم الاسلامية ؛ فنحن نعرف أن الأندلس كانت منذ القرن التاسع الميلادى نبراس الغرب كله فى العلوم ، ونعرف أن مدارس قرطبة واشبيلية وغرناطة كانت فيما بعد كعبة الطلاب من سائر أنحاء أوربا ، وأن النهضة العلمية فى أوربا بدأت قبل عصر الاحياء على يد جماعة من الرهبان النصارى الذين تلقوا العلوم فى مدارس الأندلس مثل جربرت الراهب الفرنسى الذى ارتقى عرش البابوية فيما بعد باسم سلڤستر الثانى (سنة ٩٩٩ م) وآبيّار وهو أيضا راهب فرنسى تفقه فى الفلسفة والعلوم المعاصرة وطار صيته فى أوائل القرن الثانى عشر ؛ وكان أعظم ما يتلقى الرهبان العلماء — وهم يومئذ دعاة العلم فى الغرب الأوربى — الفلسفة اليونانية عن طريق العلماء والفلاسفة المسلمين ، ولاسيما ابن رشد الأندلسى الذى كان أول من عرف العالم الغربى بالفلسفة الارسطوطالية ، وقد ترجمت شروحه المعتمدة من الفلسفة الارسطوطالية فى المنطق وما وراء الطبيعة الى اللاتينية منذ القرن الثانى عشر ، وكانت أساساً لكثير من المباحث الفلسفية التى ازدهرت أيام الأحياء الأوربى فى شمال ايطاليا ، بل يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الجدلية الأوربية استمدت من العرب والفلسفة العربية أكثر مما استمدت من قسطنطينية التى كانت مستودعاً لتراث المدنية اليونانية ؛ وليس من ريب فى أن جهود العرب فى ميدان الكيمياء والطب كانت أكبر مستقى للغرب فى هذا الميدان ؛

فقد كانت الكيمياء العلمية علما عربيا محضا ، وقد بلغت ذروة ازدهارها فى العصور الوسطى فى معامل قرطبة واشبيلية وغرناطة ، وكان أطباء الأندلس أساتذة الطب فى أوربا كلها ، واليهم كان يهرع الطلاب من سائر الأمم الشمالية ؛ وكانت مدرسة سالرنو الطبية فى جنوب ايطاليا تقوم على تراث الحضارة الاسلامية التى سادت صقلية وجنوب إيطاليا زهاء قرنين ؛ وكانت آثار الطب العربى تبدو فى هذا الميدان بصورة قوية بارزة ؛ ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بعض العلوم الأخرى مثل الفلك والرياضيات ، وقد بلغت أيضا فى الأندلس شأوا عظيما

والخلاصة أن آثار الحضارة والعلوم الاسلامية فى بناء النهضة العلمية الأوربية واضحة لا يمكن انكارها ؛ واذا استثنينا ميدان الفنون فى نهضة الأحياء ، فانه يصعب علينا أن نتصور ناحية من نواحى هذه النهضة الفكرية الرائعة ؛ سواء فى العلوم أو الآداب تبعد كل البعد عن التأثر بعبقرية التفكير الاسلامى ، سواء مباشرة أو بواسطة عوامل أخرى . بيد أنه مما يؤسف له أن هذه الناحية لا تلقى فى المباحث الغربية ما يجدر بها من الشرح والتقدير ؛ ويلاحظ أن مؤرخ الاحياء الأوربى يكاد يغفلها بصفة مطلقة ، هذا فى حين أن مؤرخ العصور الوسطى لا يستطيع أن يغفلها

ولكن معظم مفكرى الغرب ومؤرخيه ما زالوا ينظرون الى تاريخ العرب والاسلام والحضارة الاسلامية ومؤثراتها نظرة خاصة قلما تنجو من مؤثرات الدين والقومية ، بل لقد درج فريق منهم على اعتبار العرب ضمن القبائل والأجناس البربرية التى حطمت صرح الدولة الرومانية ، واعتبار الغزوات الاسلامية لجنوب أوربا كوارث دينية وقومية ؛ ومازالت المباحث التاريخية تبالغ فى تقدير مؤثرات الحضارة الرومانية فى أمم العصور الوسطى وتعتبرها دائما عاملا حاسما فى كل تطور فكرى أو اجتماعى ، هذا بينما نراها تغفل تقدير الحضارة الاسلامية ومؤثراتها ؛ ويلوح لنا أن الوقت قد حان لنعمل من جانبنا على تصحيح هذا الموقف ، ورفع هذا الاجحاف الذى يلحق بتراث المدنية الاسلامية فى أوربا ، والتنويه بما لهذا التراث من الآثار الحاسمة فى المدنية الأوربية بوجه عام ، وبما له من آثار خاصة فى معظم الحركات الفكرية التى قامت فى أوربا خلال العصور الوسطى

بيد أنه من الانصاف أيضا أن نقول إننا نلمح فى بعض المباحث الغربية المستنيرة أثر هذا التطور فى فهم المهام الانسانية التى أدتها الفتوحات الاسلامية فى العصور الوسطى ، وفى تقدير التراث المعظم الذى خلفته الحضارة الاسلامية ، وما كان لها من آثار خطيرة حاسمة فى تطور الحركات العقلية والاجتماعية فى تلك العصور ؛ ومن الحق أن نقول إن بحوث أولئك العلماء المستنيرين قد رفعت كثيرا من الحيف والاجحاف والريب التى لحقت ذكريات العرب والاسلام فى أوربا من جراء الصور والروايات الخاطئة المغرضة التى ما زالت تقدم منذ أحقاب عن العرب والاسلام الى المجتمع الأوربى الحديث

محمد عبد الله عنان

الربح الوافر...



... هو أمنية كل فرد!
ولكن للحصول على هذا الربح يجب أن تكون حائزاً أعلى مؤهلات كثيرة واختبارات جمة . فهل أنت يائس من الفوز؟

تأتيك مدارس المراسلات الدولية حتى عتبة دارك بالمعلومات الفنية والعملية فى مختلف الحرف والأعمال وتساعدك بجهد المستطاع لايجاد وظيفة لك أو لتمهيد سبيل التقدم فى عملك ! ولا غرو فلقد ساعدت هذه المدارس ما ينيف على أربعة ملايين طالب منذ يوم أن أسست أى منذ سنة ١٨٩١ حتى الآن . وهى تعد من أكبر وأشهر المدارس فى العالم أجمع للتعليم بواسطة البريد

اكتب لنا اليوم فيأتيك كتابنا المجانى :

M.A.S.

INTERNATIONAL CORRESPONDENCE SCHOOLS (Col.) Ltd.
17, Sharia Manakh, Cairo.

Please send me your booklet containing full particulars of the course of Correspondence Training before which I have marked X. I assume no responsibility.

Accountancy	Chemical Engineering	Municipal Engineering	Steam Engineering
Advertising	Civil Engineering	Poultry Farming	Sanitary Engineering
Aeronautics	Electrical Engineering	Professional Exams	Textiles
Architecture	Mechanical Engineering	Salesmanship	Technical Drawing
Book-keeping	Mining Engineering	Scientific Management	University Exams
Building	Motor Engineering	Shorthand Typewriting	Woodworking

NOTE — The I C S teach [illegible] the post reaches and have over 400 courses of study. If, therefore, your subject is not on the above list write it here

Name

Address

الفردوس الإسلامي المفقود

تحت قناطر جامع قرطبة

للشاعر الألماني هنري هين

(مهداة إلى الأستاذ الزيات)

ترجمة الأستاذ معروف الأرناءوط

محرر فتى العرب ومؤلف سيد قريش

« . . . أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت في الماضي بيت الله . . . » « هنري هين »

أرأيت يا سيدي السائح إلى مسجد قرطبة الجامع ! أرأيت إلى تلك العُمُد المرمرية وقد نهضت على قباب فيحاء واسعة الأرجاء ؟

أرأيت إلى مفاتن الفن العربي وقد راحت تطفو على القباب والحنايا والقناطر ؟ أرأيت إلى سُوَرٍ من القرآن كيف أذابها الذكاء في شتى الألوان ؟

في سبيل الله ، وفي سبيل مجده الذي لا يَبْلَى قام هذا الصرحُ المُشمخرّ ثم تَنَكّرَ الزمن وجَهُمَتْ نواحيه ، فتنكرت الأشياء وجهمت المشاهد ، وأرعد في الأفق الذي تسرب اليه صوت المؤذن حلوا صافياً ، صوتُ النواقيس ، وقام الرهبان يدعون في أغانيهم الشجية الكئيبة إلى المسيح في محراب كان إلى الأمس مزهواً بالمؤمنين ، وامتلأت السُوح بالدُّمى والتماثيل ، وتقاصرت ظلال الشمس أمام أنوار شاحبة تريقها الشموع والمصابيح !

***

وقف « المنصور بن أبي عبد الله » في مسجد قرطبة تحت القبة المرمرية وهو يحدّق في العُمُد والحنايا هادئاً ناعم الجأش ، ثم مضى يتخافت بصوته :

« أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت في الماضي بيت الله ، ثم عدت اليك فرأيتك تظللين بيتاً غريباً ، ثم أصغيت اليك ، فاذا بك ترددين صلاة ما كانت لِبُنَاتك الأولين !

لقد هَدْهَدَ الزمن حماسك ، وأطفأ كبرياءك ، فجمدت على خطبك الكريه ، وصبرت لبؤسك الأليم ، ولكن نفسي وقد صاغها الله من معْدِنٍ ضعيف مازالت — وارحمتاه لها — ملتاعةً أسوانة حتى أعجزها اليأس عن الصبر فما عادت تطيق شجنها الجاهد ! »

***

وانثنى الفتى العربيُّ إلى الماء المقدّس يمسح به رأسه ويغسل جبينه ، ثم جفا المسجد وراح إلى فرسه فنهض على ذؤابته فانطلق به يعدُو في الطريق ، وأخذ الهواء المستفيض في الأفق يعبَثُ بغدائره المُرْسلة ويلاعب ريش قبعته المطرّزة !

أشرف الفارس العربيّ على طريق القلمة حيث تجرى أمواه الوادي الكبير متطامنةً هادئة ، فبدت له الخضرة والرياحين والأعناب وشجر اللوز الباسق المتهدّل وأزهار البرتقال الكاسية الضافية فلذّ الغناء فغنّي ، وراحت نغماته العذاب تختلط بأغاني الطيور !

وإنه لكذلك إذا قصر القلمة يلوح له عن بعد ، فطفر إليه مستروحاً إلى غناء رقيق يستفيض من حواشيه !

في هذا القصر غزلات هائمة آوت اليها « كلارا الفاريس » وهي فتاة طفّارة وثّابةٌ فارق أبوها مَغْناه إلى أرض « الناڤار » فاستَنْدَى الفَرَق في المرح والأهواء خلال غيبته عن القصر !

وقف المنصور بن أبي عبد الله في ناحيةٍ دانيةٍ من القصر وطفق يُصْغي إلى عَزيفٍ لذٍّ هادئ ، وقد بَهَرَتْهُ الأنوار وأشجته الأعراف ، فَمَايدَ من الطرب ، وأمّ ناحية القصر يريد التوغّل في جَنّتِهِ بين ورده وأقحوانه !

وكان القصر يعج بالحسان والفرسان ، فزرف المنصور اليه فاذا هو بين الراقصين والراقصات والمغنّين والمغنيّات ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فاذا هو أملح فرسان هذه الليلة الساهرة شباباً وأعذبهم حديثاً ، بل لقد كان أمْضَاهمْ في الاغراء والاستهواء ؛ ولما استوثق من فتون عينيه ، مضى إلى هذه الأسراب الناعمة الطفّارة ، يحدث غانية عن حُبٍّ أجَنّهُ في قلبه وحَرَصَ الأيذيعه إلا على مِسْمعِها ، حتى إذا أمله العبث والمجون ، طفر إلى غانية أخرى فاحتبسها بين ذراعين محمومتين مشبوبتين ، ثم شعر بالملل فارتد عنها إلى ثالثة يعانقها ويخاصرها تحت قباب من المرمر ، ثم جفاها إلى أختها ملولا من هوى شديد التقلب !

وكان يمضي إلى حسناء من حسان القصر فيسألها إن كانت

عنه راضية ، وبه ناعمة ، ثم يومض بيديه وعينيه إلى صليب من الذهب يخطف بريقه على صدره ، ويقسم للكاعب اللعوب أنّ مكانها من صدره مكان هذا الصليب ! وإنه لنصرانيته على وفاء غريب !

***

سكن القصر ، فسكنت فيه اللذّات والأهواء ، وانطفأت تحت قبابه الأنوار والأضواء ، وانقلب الفرسان إلى مضاجعهم صرعى هوى وصهباء ، وخلا القصر إلا من ربته الحسناء ، وفارسها العربيّ ذى البهاء ، وإلاّ من شموع ضعيفة السنا والسّناء !

جلست الحسناء الاسبانية إلى فراش ناعم وثير ، والفتى العربيّ جاثم على ركبتي الحبيبة ، صريع سهد وأرق ، يُريدُ عينيه على إغفاءة لذيذة فتمّلس هـذه الاغفاءة اللذيذة من عينيه الضحوكين !

وإنه لسادرٌ فى حمّى شديدة من أرق شديد ، إذا تلك الحسناء اللعوب تريق على غدائره ماء الورد من قوارير حفّت بالعجب ، وازينت بالذهب ، وهى بعد مترفة سكرى من الحبّ والطرب ، لقد كانت تفعل ذلك سادرة حيرى ، والفتى العربيّ غريق هواجس وأحلام ، وشهيد ذكريات وأوهام ، وكان صدره يلوح لها محتدماً مشبوباً تمزّقه الزفرات ، وتقطّعه الآهات !

ثم انبعث الحبّ فى قلبها سكراً فسلبها صحواً ، فأقبلت إلى فتاها تسمى ، وراحت تلثمُ شفتيه وقد عادتا كالّلظى ، وهو فى سبحه غريق حُبّ وهوى

وحدّقت إليـه مبهولةً واجة ، فرأتْ على جبينه وقد عاد مسفوعاً مقروراً غمامةً بلون الدجى ! فشجيت حتى لقد هدّها الشجى ، وبكت وانصبّ دمعها على جفنيه فاستفاق راعشاً من هذا الندى !

لقد هزّته وهو يحلم ! بلى لقد كان يحلمُ ! وقد رأى فى حلمه القصير كأنه لا يزال فى مسجدِ قرطبة الجامع ، وخيل إليـه أنه لا يبرح يطوف بالماء المقدّس يغسل به جبينه كأنه غريقٌ فى النصرانية وأشجاه هذا الذى تمثل ورأى ، وشعر بأن جوانب المعبد تميد ميدا ، وأن ألوف الأصوات أخذت تطفو على نفسه فلا يستطيع لها ردّاً !

ثم خيل إليه أنهُ يسمع قعقعة المعمد ، وصليل القباب وهى تنهار ، كأنّ مسجد قرطبة الجامع قد عاف عيشه الخالى ، فتداعى مغيظاً محنقاً

وتمثّل الناس والرهبان وآلهة النصرانيـة وقد طوتهم الأنقاض ، فاستفاق راعشاً ، وانطلق يعدو فى القفر البعيـد النواحى شاحناً ناشجاً ، وقد خلف حبّه فى القصر يائساً

معروف الارناءوط

مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أوأدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والـكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثـة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـذا الـكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الـكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

قصــــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

لم يستطع بستور رؤية مكروب داء الكلب لصغره ومع هذا رباه فى مخ الأرانب فتربى . وذلك بأن حقن لعاب كلب مسعور فى أرنب ، ثم أخذ نخاع هذا الأرنب فحقنه فى مخ كلب فمات . فعلم بذلك أن مخ الأرنب ونخاعه غذاء طيب يتربى المكروب عليه . واتجه مع أعوانه الشباب إلى تأنيس المكروب ليصنعوا منه لقاحاً ففشلوا ، ويئس الأعوان الشباب ، أما بستور الشيخ العاجز فلم تضعف عزيمته ولا قل رجاؤه

قال الشابان : « إنه يا أستاذنا لا فائدة من كل هذا » ، وأشاحا بأيديهما فى تخاذل إلى الأقفاص بحيواناتها الشلاء ، وإلى ركام الأنابيب والقوارير

فصوّب الشيخ عينه فيهما تصويباً شديداً ، وعلته جَهمة خالا معها أن شعره الأشيب الخَفيفَ تصلّب واستقام ، وصاح فيهما : « أعيدا هذه التجربة نفسها مرة أخرى ، ولو أنها خابت آخر مرة . قد تتراءى لكما الحماقة فى الذى أقول ، ولكنّ الشيء المهمّ الآن أن تظلا غامرين أيديكما فى الموضوع الذى أنتما فيه فلا تنسلاها منه فتنفضّا عنه » . هكذا أنّب بستور تلميذيه اللذين أسلما له من أمرهما المَقاد ، وهكذا ظل ينخّسهما حتى يعيدا مرة بعد أخرى تجارب لا أمل فيها ولا رجاء . فهذا كان دأبه دائماً : تُعْوِزه الحجةُ ، ويصرخ المنطق والحقائق غاضبة فى وجهه ، ومع هذا يتشبّث بالتجربة المقيمة ، ويتفاءل جنوناً عن وحى الرأى العادىّ السليم ، ولكنه تشبثٌ وتفاؤلٌ يُفضيان أحياناً من طريق الخيبة إلى النجاح المأمول

لكأنى بك تسألنى لِمَ كان عقيما محاولةُ تأنيس مكروب الكلَب هذا ؟ ولِمَ وجبت إضاعة الرجاء فى ترويضه ؟ أوْجَبَ ذلك يا سيدى أن تاريخ الانسان كله لم يذكر حالة واحدة أصيب فيها انسان أو حيوان بهذا الداء ثم اشتفى . إنْ هى إلاّ أعراضه تظهر على المريض ، وتبلغ جرثومة الداء إلى نخاعه ومخه ، حتى يضيع فيه الرجاء . وأىّ جرثومة فتّاكة قتّالة ! وهذه الجرثومة يا سيدى هى التى حملها بستور وأصحابه عارية على أطراف مشارطهم تكاد تهمّ أن تسقط بالبلاء عليهم . هذه الجرثومة هى التى مصّها بستور وأعوانه فى أنابيب الزجاج حتى بلغت إلى شفاههم إلاّ بوصةً واحدة ، وإلاّ قطعة من القطن فصّلت بينها وبين أفواههم

وفى ظلمة اليأس الذى هم فيه أشرقت بارقة من الأمل ؛ وفى صموت الكآبة التى هم فيها سمعوا نغمة موسيقية حلوة بعثت فيهم الرجاء . ذلك أنهم ذات يوم وجدوا كلباً من الكلاب التى حُقنت بالمادة الوبيئة شُفى بأعجوبة بعد أن ظهرت عليه أعراض الداء من ارتعاد وعواء ، وبعد أسابيع قاموا فى لهفة إلى هذا الكلب ، وهو أول مشتفٍ من هذا الداء ، فحقنوا الوباء فى مخه حقناً ، ولكن ما أسرع ما اندمل جرح رأسه ! وتربّص بستور به الموت ، ولكن الموت لم يأته ، وظل أشهراً يلعب ناشطاً فى قفصه وقد تمت حصانته كل التمام

قال بستور لرجاله : « الآن انفتح لنا ما استغلق ، وعلمنا أن لنا أملاً فى النجاح . . . إن الحيوان إذا جاءه داء الكَلَب ثم اشتفى منه فلن يعود اليه هذا الداء من بعد ذلك . . . فلم يبق علينا إلا أن نجد طريقة لاضعاف الجرثومة وتأنيسها » . وأمّن رجاله على ما يقول وفى قلوبهم أن لا سبيل إلى تأنيس هذه الجرثومة أبداً

وأخذ بستور فى اختراع تجارب مما لا يستطيعها الجنّ بَلْهَ البشر ، وانتثرت على مكتبه تخطيطات عدّة منها كأنها الخط الهيروغليفى ، وكانت تجتمع عنده فى صباح اليوم نتائج تجارب الأمس فيدعو اليه فى الساعة الحادية عشرة صباحاً عَوْنيه رو وشمبرلاند ، فيقرأ عليهما خطة جامحة أخرى يختطّها ليصل بها تحسّساً فى الظلام إلى هذه الجرثومة التى لا تُرى ولا تُنال رجاء أن يُضْعفها ـ خطةً تأخذ بأصبعه إلى باطن الأرض فتحط به على رأس الجرثومة حطاً

كان يقول لهما بستور : « جرّبا هذه التجربة اليوم »

فيقولان له فى اعتراض : « ولكن هذا غير ممكن عملاً »

فيقول بستور : « ومع ذلك أجْرياها ، أجرياها بالطريقة

التي تتراءى لكما بشريطة أن تحسناها »

كان مَثَل بستور في ذلك مثل بيتهوفن Beethoven ، يضمّن سنفونياته الموسيقية دوراً لا يلعبه إلا البوق وهو ليس عنده ، ولكنه لا يلبث بعد خلق الدور أن يخلق بوّاقاً . كذلك كان بستور في تلك الأيام يفتنّ في التجارب افتناناً ، ثم بعد ذلك يجد من ذكاء عونيه وحرصهما ضميناً لإنجاحها

وأخيراً اهتدوا إلى طريقة لتأنيس جرثومة الكَلَب ، وذلك بأن استخرجوا قطعة من نُخاع أرنب مات من الداء ، ثم علقوها مدة أربعة عشر يوماً في قارورة لا تدخلها جراثيم الهواء ، فلما جفّت وانضمرت حقنوها في أمخاخ كلاب سليمة فاذا هذه الكلاب لا تموت !

قال بستور : « مات الجرثوم ! أو خير من ذلك أُضعف إضعافاً كبيراً » ، وتلك النتيجة الأخيرة نطّ إليها بستور نطاً بلا سبب مقبول ولا مبرر معقول . قال : « والآن فلنجفّف قطعاً أخرى من النخاع الوبيء اثني عشر يوماً ، ثم أخرى عشرة أيام ، فأخرى ثمانية ثم ستة ، ثم نرى أنستطيع بهذه القطع أن نعطي كلابنا قليلاً من الداء . . . إذن والله لتحصّنتْ منه

وأخذوا جميعاً في سبيل هذه التجربة الخالبة ، ومضت أربعة عشر يوماً ذَرَع فيها بستور أرضَ المعمل رائحاً غادياً بين القوارير والمجاهر والأقفاص المنثورة فيه ، وعبّس وتسخّط ، وخطّ في كراسته الشهيرة ما شاء له الخاطران يخُطّ ؛ وفي اليوم الأول حُقنت كلابٌ بالنخاع الوبيء الذي جُفف أربعة عشر يوماً ، وفي اليوم الثاني حُقنت بالنخاع الأقوى وباء ، ذلك الذي جُفف في القارورة ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا إلى اليوم الرابع عشر وفيه حقنت الكلاب بالنخاع الذي جُفّف يوماً واحداً ، وبه وباء لا شك يقتل الكلاب لو أنها فوجئت به أول مرة

وظلوا جميعا ينتظرون هذه الكلاب أياما شابت فيها رؤوسهم ، ولكنّ شيئا من داء الكلب لم يظهر عليها أبدا . فانبسطت أسارير هذه الأغوال الثلاثة التي قامت تحارب الموت فتكشّر له كلما كشر . حقنوا في الكلاب أربع عشرة حقنة وبيئة فلم يصبها من الضرر قليل أو كثير . ولكن هل هي حقاً تحصّنت من الداء ؟

وخشي بستور ألا تكون ، فأجفل من ذكرى ضياع كل هذه الأعوام في عمل غير نافع . ولكأني بك تسمعه يقول لنفسه : « أنا اليوم شيخ عاجز ، والأيام تجيء فلا تزيدني إلا عجزا ... » ، وكان لابد من إجراء التجربة الفاصلة الأخيرة .

وكان لابد لبستور أن يتجلّد على إجرائها مهما كانت عاقبتها . كان لابد له أن يعلم أيحتمل هذه الكلاب بعد كل الذي جرى لها حقنة قوية غير مُضعّفة من التي تحقن في الكلاب المائة السليمة فتقتل منها المائة

وذات يوم ثقب رو في رأس كلبين من هذه الكلاب ثقباً حقن فيه وباء قوياً لم يُضعف . وفعل مثل ذلك في كلبين سليمين لم يُحقنا بحقنة أبدا

وبعد شهر أيقن بستور وأصحابه أن النصر أتاهم أخيرا بعد عمل ثلاث سنين . فالكلبان اللذان كانا حقنا أربع عشرة مرّة ظلا يجريان في قفصيهما ويلعبان ولم يتوعكا أصلا ، أما الكلبان الآخران اللذان لم يتحصّنا فنبحا آخر نباح وماتا من الداء

إن بستور له شخصيتان ، فهو مخلّص الأرواح ومجنّانة في آن ، وهما شخصيتان دائما متنازعتان ، ودائما تجور أولاهما على أخراهما . لذلك ما كاد يطمئن الى النتيجة الطيبة التي خرج عليها من هذه الكلاب ، حتى دارت رأسه بالخطط الكثيرة يرسمها ليمحو بها داء الكَلَب من على ظهر هذه البسيطة . فكانت له في ذلك مئات المشروعات كلها سخيفة ، دار منها في عالم أدكن من الخيال ، وسلك فيها من الفكر سُبُلا كثر ضبابها واشتد ، فلم يستطع رو وشمبرلاند أن يخترقاه فضلاّ فيه وضلّت فيه زوجه كذلك . وكان ذلك عام ١٨٨٤ ، وفي هذا العام نسي بستور مما هو فيه عيدَ زواجه ، فأساء هذا النسيان إلى زوجه ، وهي التي عانت في حياتها ما عانت ، فكتبت الى ابنتها تشكو : « إن أباك غارق في أفكاره ؛ وهو قليل الكلام ، قليل النوم ، وهو يستيقظ مع الفجر ؛ واختصارا هو يجري في هذا اليوم على نفس الأسلوب الذي جرى عليه منذ التقت حياتانا من خمس وثلاثين سنة كاملة »

ومن تلك الخطط الجامحة أنه رأى أن يحقن هذا المكروب المُضعّف في كل كلاب فرنسا في دفعة نابليونيّة واحدة . قال للبيطار الشهير نوكار Nocard : « يجب أن نذكر أن الانسان لا يصاب بداء الكَلَب أبدا إلا إذا هو عضّه كلب مكلوب

فاذا نحن محونا هذا الداء من الكلاب محوا كاملا . . . » فضحك نوكار من قوله وهزّ رأسه إنكارا ، ثم قال له : « إن فى باريس وحدها مائة ألف من كلاب وجراء . وفى فرنسا مليونان ونصف مليون منها ، فاذا أنت أردت أن تحقنها كلها دفعة واحدة ، وأن تحقن كلا منها أربع عشرة حقنة فى أربعة عشر يوما ، فمن أين لك بالرجال ؟ ومن أين لك بالزمان ؟ ومن أين لك ياعزيزى الأفخم بهذا العدد من الأرانب ؟ بل من أين تأتى بأمخة وبيئة تصنع منها ألف لقاح فحسب ؟

وأخيراً طامت على بستور فكرة بسيطة أخرجته من ورطته . قال لنفسه : « ليست الكلاب هى التى نعطيها الألقحة ، بل الرجال التى عضتها الكلاب . ألاّ ما أحصر ! ألاّ ما أيسر ! يعض الكلب المسعور رجلا فلا يختمر الداء فيه ولا تظهر أعراضه عليه إلا بعد أسابيع . . . إن الجرثومة إذن تستغرق كل هذه الأسابيع لتصل من مكان العضة الى مخ الرجل . . . إذن نحن نستطيع فى هذه الفترة أن نحقن فى الرجل حقناتنا الأربع عشرة وبذلك نحميه من المرض قبل اختماره . » وما أسرع ما دعا اليه رو وشمبرلاند وقاموا بتجربة هذا الرأى فى الكلاب أولا .

فوضعوا كلابا مريضة فى أقفاص واحدة مع أخرى سليمة فعضتها . كذلك جاء رو بكلاب أخرى سليمة وحقنها بحقنة قاتلة من نخاع أرنب وبىء ، ثم جاءوا بجميع هذه الكلاب ، المعضوضة والمحقونة بالوباء ، تلك الكلاب التى لاشك هى لاقية حتفها إذا تُركت لشأنها ، فحقنوها جميعاً بالألقحة المحصّنة الضعيفة فالأقل ضعفا حتى استتمت أربع عشرة لكل منها ، فما الذى كان ؟ كان الفوز كل الفوز ، فكل مخلوق من تلك الخلائق صدّ عن نفسه فى استكبار وخفاء هجمة هذا الوباء . وبستور الذى عانى من ألقحة الجمرة الذى عانى ، صاح يدعو الى تأليف لجنة من خير رجال الطب فى فرنسا تقوم بامتحان تجاربه والحكم لها أو عليها . وجاء حكم اللجنة فاذا به يقول : « إن الكلب إذا حُصّن بأمخة الأرانب الوبيئة التى ماتت من هذا الداء ، بأن يُحقن بالتدرج بضعيف الوباء فالأقل منه ضعفا ، فهذا الكلب لا يأتيه الكَلَب أبدا »

فتساقطت الرسائل على بستور من كل صوب ، رسائل هالعة من كتب وتلغرافات جاءت تنصب عليه انصبابا من أطباء مُداوين ، ومن آباء جازعين ، وأمهات راجفات يطلبن الغياث لأطفال لهن عضتها كلاب مسعورة . حتى امبراطور البرازيل العظيم تنازل من عليائه فكتب الى بستور سائلا راجيا

ولن أحدثك كثيرا عن همّ بستور فى تلك الأيام ، وزاد همّه ذكرُ ما كان قاساه من لقاح الجمرة . وشتان ما بين الجمرة والكَلَب . ففى الجمرة إذا زادت قوة اللقاح عن القدر المقدور ماتت شياه من جراء ذلك . أما هنا فى الكَلَب فخطأ فى التقدير يفضى الى ضياع أرواح البرايا من رجال وأطفال . . . لم يقع أحد من سيادى المكروبات فى حيرة مثل هذه ، ولم تقع عليه مسئولية كتلك .. قال بستور لنفسه : « لم يمت كلب من كلابى بسبب لقاحى أبدا . والذى عُضّ منها حُقن بهذا اللقاح احتمى من الداء احتماء كاملا . فلا شك أن الذى حدث فى الكلاب يحدث فى الانسان ... ولكن ... »

ومرة أخرى عاود الأرق هذا البحّاثةَ المسكين من أجل أنه كشف كشفاً بلغ من الابداع مبلغا بعيدا . فكان يرقد على ظهره فى سريره وينظر فى كُتَل الظلام التى فوقه فيرى فيها خيالات من أطفال تصرخ فى طلب الماء لحلوق جافة مختنقة بالداء ، أولُ شىء أباه وتخافه هو هذا الماء ، ويخال أنه هو الذى جاءها بداء الكَلَب بسبب خطأ فى لقاحه فيُجفل من تلك الخيالات إجفالا

ومرّت به ساعة عاوده فيها حب المباغتات على نحو ما يجرى على المسارح من المفاجآت ، وأراد أن يكون بطل الدرامة ، فكتب إلى صديقه القديم فرسيل Jules Vercel يقول : « أميل كثيرا إلى أن أبدأ بنفسى فأحقنها بهذا المكروب القاتل ثم أدفع فعله بلقاحى ، فقد والله بدأت أحس فى قلبى الثقة بنتائجه »

ولكن رحمة الله به ساقت اليه أخيراً من حلّ فى التجربة محلّه فوقته شر ما اعتزم عليه فى أمر نفسه : جاءته امرأة من الألزاس تسعى اليه دامعة العين ، ودخلت معمله تجر وراءها ولداً لها اسمه يوسف فى التاسعة من عمره جرحه كلب مسعور فى أمسه الأول أربعة عشر جرحاً ، وكان ينشج بالبكاء ، وقد ملأه الرعب وارتعدت فرائصه فلم يكد يستطيع سيراً

صاحت الأم راجية : « سيدى بستور ، أنقذ ولدى ! »

فسألها بستور أن تعود اليه فى مساء اليوم ، وقام هو لزيارة طبيبين يدعى أحدهما فلبيان Yulpian ويدعى الآخر جرانشيه

Grancher ، وكانا من أحبابه ونُصرائه ، وكانا في معمله فرأيا فيه كيف استطاع أن يخلص الكلاب من بلواها بعد أن عضتها كلاب مسعورة عضاً شديداً ، وفي المساء ذهبا معه إلى الطفل فلما رأى فلبيان جروحه عابسة متقيّحة ألحّ على بستور أن يقوم بتلقيحه توّاً . قال : « قم يا رجل وابدأ علاجك ، فإنك إن لم تفعل مات هذا الغلام لا محالة »

وفي هذه الليلة ، الليلة السادسة من يوليو عام ١٨٨٥ ، حُقنت أولُ حقنة من لقاح الكَلَب في آدميّ ، وقضى الطفل أربعة عشر يوماً أخذ فيها أربع عشرة حقنة من ابرة تحت الجلد فلم يصبه سوء ، ثم عاد إلى الالزاس فلم يأته بعد ذلك عرض من أعراض هذا الداء المخوف أبداً

في العدد القادم : آخر مقال عن بستور

أحمد زكي

أدبيات :

ابن بسام صاحب الذخيرة
والشاعر أبو مروان الطُّبْني

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

وما دمنا قد ترجمنا للفتح بن خاقان صاحب مطمح الأنفس وقلائد العقيان ، وقد بان لك من هذه الترجمة أن ابن بسام كان معاصراً للفتح ، وأنهما يتشابهان من وجوه شتى إن لم يكن منها إلا أنهما كليهما تصديا للكلام على أدباء عصرهما وشعرائه لكفى ؛ نقول ما دام الأمر كذلك كان جميلا بنا أن نردف ترجمة الفتح بترجمة ضريبه ابن بسام ....

وسيمر بك قريباً ما نتعرف به سبب ذكرنا الشاعر أبا مروان الطُّبْني مع ابن بسام في ترجمة واحدة ....

« ثم وأما بعد » فإنا إلى هذه اللحظة التي نترجم فيها لابن بسام لم نعثر لأحد على ترجمة قد عقدها له وأفردها للقول عليه ، وإن كان مؤرخو الأندلس وغير مؤرخي الأندلس كثيراً ما ينقلون عن هذا الأديب كعمدة لهم ، وتبنّت فيما يعالجون من تاريخ أدباء الأندلس ، حتى أن المقري ذكره في نحو من أربعين موضعاً من نفح الطيب ولم يفرد له على ذلك ترجمة ، وكذلك كثيراً ما ينقل عنه ابن خلكان وغير ابن خلكان ....

ومن غريب الأمر في هذا الباب ، ومن سوء حظ هذا الأديب ، بل من تخبط الناس في أمره ، أنك ترى النسخ المخطوطة للذخيرة في دار الكتب سواء أكانت المكتوبة بخط مغربي أم المنقولة عنها بخط مصري قد غُمّ على نساخها وشبه لهم ، واختلط الليل بالنهار ، فظنوا أن صاحب الذخيرة هو ابن بسام المعروف بالبسّامي الشاعر الهجاء البغدادي المتوفى سنة ثلاث وثلثمائة ، ونقلوا ترجمة هذا الشاعر من ابن خلكان كما هي وألصقوها بصاحب الذخيرة ، وصدق فيهم بهذا التخبط الغريب قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمْرَكَ الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

وأمْعَنُ من هذا في باب التخبط والتخليط أن خطبة الذخيرة الحقيقية كما سيمر بك (١) . . وقد مر على واضعي فهرس دار الكتب هذا التخليط فلم يتفطنوا اليه ، وظنوه صحيحاً ، وقالوا إن الذخيرة هي لابن بسام المعروف بالبسامي الشاعر الخ الخ ونقلوا نتفاً من هذه الخطبة المفتعلة ، وإن كان لهم في هذا الصنيع كلُّ المعذرة ... « وبعد » فإنا على هذا كله سنقدم اليك صورة وإن مُصغَّرةً لهذا الأديب الأندلسي العظيم لقد التقطنا أجزاءها من ههنا وههنا

***

أزلفنا في ترجمة الفتح أن أبا الحسن علي بن بسام صاحب الذخيرة كان في زمن الملثمين — يوسف بن تاشفين وأولاده — ونزيدهنا أن حياته امتدت إلى أيام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي رأس دولة الموحدين الذين أديل لهم من الملثمين وآضوا بذلك ملوك المغرب والأندلس ، إذ جاء في نفح الطيب (٢) ما نصه : « وتأخرت وفاته — أي وفاةُ ابن بسام — الى سنة ٥٤٢ » ويبدو من هذا أن ابن بسام عاش بعد الفتح بن خاقان نحواً من سبعة عشر عاماً . . .

***

ولد ابن بسام في شنترين وهي بلدة من الكُوَر الغربية البحرية من أعمال بطليوس ، ومن ثم يقال له الشنتريني ، ومن مؤرخي الأندلس من يقول الشنتمري نسبة الى بلدة

(١) وسيمر بك أيضا أن المفتعل هو جانب من هذه الخطبة وهو شطرها الأول

(٢) ج ، ص ٣٠٩ طبع أوربة

بالأندلس فى الشمال الشرقى لقرطبة يقال لها شنْتْ مَرْيه (١) (أى مريم المقدسة)، وفى هذه البلدة يقول الأديب النحوى أبو محمد بن السيد البطليوسى :

تنكرت الدنيا لنا بعد بُعدكم
وحفّت بنا من معضل الخطب ألوان
أناخت بنا فى أرض شَنْتَ مَرِيّةٍ
هواجس ظن خان والظنُّ خَوّان
رحلنا سَوامَ الحمد عنها لغيرها
فلا ماؤها صدًّا ولا النبتُ سعدان (٢)

ولم يحدثنا المؤرخون عن مولده ونشأته، ولا عن مشيخته وكيف تعلم، فلا علينا إذا نحن تخطينا هذا واكتفينا بالكلام عليه من ناحية منزلته الأدبية وإيراد شيء من منظومه ومنثوره والقول على أثره الخالد كتاب الذخيرة ...

كان أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة أديبا كاتبا شاعرا، وكان المنثور أغلب عليه من المنظوم، مثله فى ذلك مثل الفتح، فكان منثوره فائقاً بارعاً جيلا وإن كان يغلب عليه السجع كسائر معاصريه، أما شعره فقد كان دون نثره. ومما عثرنا عليه من شعره أبيات أوردها العالم الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى الأندلسى المتوفى سنة ٦٢٩ فى رسالته البديعة التى يفضل فيها الأندلس وأهل الأندلس على بر العدوه - مراكش - وأهل بر العدوه، قال الشقندى «وهل منكم من يقول مناديا لنديمه، وقد باكر روضا بمحبوب وكأس، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك وهو أبو الحسن بن بسام :

ألا بادر فلا ثانٍ سوى ما | عهدت الكأس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا | تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم إلى أن | توافيه فينحط اللثام

وجاء فى نفح الطيب ما نصه : «وقال أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة، وشهرته تغني عن ذكره، ونظمه دون نثره، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز :

أبا بكر المجتبَى للأدب | رفيع العماد قريع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخؤون | ويُعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا | فينظمنا شمل هذا الأدب

أصدقْتَ أن منظومه دون منثوره ؟ إذن لا تتوقع من ابن بسام الأديب الكاتب شعراً من النسق الأعلى، وهكذا شأن أكثر الكتاب كما نبهنا إلى ذلك فى كلامنا على الفتح بن خاقان؛ وكذلك ترى أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون المنثور، وأظنك لا تجهل ما أورده العلامة ابن خلدون فى مقدمته شرحاً لهذه الظاهرة : ويبدو لنا ان لابن بسام شعرا كثيرا فى أكثر أبواب الشعر لم يتيسر لنا الوقوف عليه، يدل على ذلك تلك الأبيات التى يقولها الشاعر الوشاح الأندلسى أبو بكر بن عبادة القزّاز فى ابن بسام وهى :

يا منيفاً على السماكين سامى | حزت خصل السباق عن بسام
إن تحك مدحة فأنت زهير | أو تشبب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر (١) | أو تبكى الديار فابن خذام (٢)
أو تذم الزمان وهو حقيق | فأبو الطيب البعيد المرامى

وعلى هذا فلنضرب عن ابن بسام الشاعر، ولنعرض لابن بسام الكاتب ولأثره الفذ الخالد كتاب الذخيرة ...

***

نقول إن ابن بسام يمتاز من الفتح بأشياء : أهمها أنك لا ترى فى أسلوبه ذلك التقعر وتلك الطنطنة التى تراها فى أسلوب الفتح، وإنما ترى أسلوباً هادئا متزنا رصينا جميلا، . وأنك ترى ابن بسام ناقدا بارعا كثيرا ما يُعقب على ما يختار تعقيبا يدل على تمكنه ورسوخه فى الأدب، ومن ثم كان أكثر من الفتح تقييدا، وعلما مفيدا، . وأنك تراه أعف لسانا، وأنزه بيانا من الفتح، فلا ترى منه ذلك الاقذاع الذى تراه من الفتح. واليك نموذجا من تراجمه هو مصداق لما نقول، وهو ترجمته للشاعر الأندلسى أبى مروان عبد الملك بن زيادة الله الطُبْنى (٣)

(يتبع) عبد الرحمن البرقوقى

(١) Saint merry (٢) صداء بئر ليس عند العرب ماء أعذب من مائها . وفى المثل ماء ولا كصداء، والسعدان نبت ينبت فى سهول الأرض من أطيب مراعى الابل وفى المثل مرعى ولا كالسعدان

(١) هو امرؤ القيس (٢) شاعر جاهلى قديم قال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لعلنا | نبكى الديار كما بكى ابن خذام
(٣) الطبنى نسبة الى طبنة. قال ياقوت : بلدة فى طرف أفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير . . الى أن قال وينسب اليها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني شاعر أديب لغوى الخ

قصة واقعة :

أعرابيّ في حمام ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صحبنا في رحلتنا البرية إلى الحجاز ، دليل شيخ من أعراب نجد ، يقال له « صُلَبيّ » ما رأيت أعرابياً مثله ، قوة جنان ، وفصاحة لسان ؛ ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه ، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته ، وقوّة عارضته ، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح ... وكان أبيّ النفس ، أشم المطس ، عالي الهمة ، كريم الطباع ، لكن فيه جفوة الأعرابي ...

رافقنا أياماً وليالي ، فما شئنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه : كان يواسينا إذا أسينا ، ويؤثرنا إذا أضقنا ، ويحمينا إذا هوجمنا ، ويحرسنا إذا نمنا ، ويقنع إذا قسمنا ، ويشكر إذا أعطينا ، ويصبر إذا منعنا ، ويعذر إذا اعتذرنا ، ويعفو اذا أسأنا ، ويلين إذا اشتددنا ، ولا يشتدّ إذا لنّا ... على خفة روح ، وسرعة جواب ، ونكتة حاضرة ، وشجاعة نادرة ... قلنا له مرة :

ـ إن « صُلبة » في عُرب اليوم ، « كباهلة » في عرب الأمس ، قبيلة لئيمة خسيسة ، يأنف الكرام من الانتساب اليها ، وأنت فيما علمنا سيد كريم ، من سادة كرام ، وليس لك في هذه القبيلة نسب ، فما بالك تدعى « صُلبيّ » ولا تغضب ؟

ـ فقال : صدقتم و لله ، ما أنا من « صُلبة » ولا « صُلبة » مني ، وإني لكريم العمّ والخال ، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم

ـ قلنا له : هات

ـ قال : كان أبواي مُشكِلَين لا يعيش لهما ولد ، فلما رزقا بي تاسع تسعة ماتوا جميعاً ، وأعجزتهما الحيلة ، احتسبا عند الله مصيبتهما بذل الاسم ، وسمياني صُلبيّ

ـ قلنا : أمن سمياك صُلبي عشت ؟

ـ قال : نعم ! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صُلبي ؟ وأرفع من أن يمسه بيد ...

ـ وسألناه مرّة : هل أنت متزوج يا صُلبي ؟

ـ قال : لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل ، فما زلت أحسن اليها وتسيء إليّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً ، فطلقتها ثلاثاً وثلاثين

ـ قلنا : إنها تبين منك بثلاث ، فلم الثلاثون ؟

ـ قال : صدقة مني على الأزواج المساكين الذين لا يجدون ما يطلقون ...

وطال بنا الطريق إلى تبوك ، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء ، وخشي القوم الموت ، فأقبلوا كلهم على صُلبي ، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق ، فتركهم حتى إذا نفض كلّ جعبته ، قال لهم ضاحكاً :

معكم الحق ، إنها بعيدة ، ولكني أقسم لكم بالله إني لم أضعها أنا هناك ... وليس لي في بعدها يدان

ولم يكن صُلبيّ يعرف المدن الكبيرة ، ولم يفارق الصحراء قط إلا إلى حاضرته تبوك (وتبوك قرية فيها ستون بيتاً ...) فلما بلغنا ـ قافلين ـ مشارف الشام ، أغريناه بدخول المدينة ، وجعلنا نصف له الشام : رياضها وأنهارها ، وعظمها وعمرانها ، فيأبى ؛ وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه ، فجعلت أحاوله وأداوره وبذلت في ذلك الجهد ، فلم أصنع معه شيئاً ، لما استقر في نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها ... فتركناه مرغمين ، وودعناه آسفين !

***

وعدت إلى دمشق ، فانغمست في لجة الحياة ، وغصت فيها إلى أذنيّ ، ونسيت صُلبيّ وصحبته ، وكدت أنسى الصحراء وأيامها ؛ ومرّت على ذلك شهور ... وكان أمس ، فلمحت في « باب الجابية » وسط الزحام الهائل وجهاً أعرفه ، فذهبت أنظر اليه ، فاذا هو وجه صُلبي بعينه وأنفه ... فأقبلت عليه مسروراً :

ـ صُلبي ... هذا أنت ؟

ـ قال : لا صُلبي ولا مُلبي ...

ـ قلت : لم ويحك ؟

ـ قال أنا في طلبك منذ ثلاث ، ثم لا تأتي إليّ

ـ فقلت له ضاحكا : وأيّ ثلاث ، وأي أربع ، وأي

خمس ؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة انسان ؟ إنها دمشق يا صاحبي فيها ثلثمائة ألف نسمة ، فأين تجدنى بين ثلثمائة ألف ؟ . . .

قال : صدقت والله !

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة ، وملت به إلى ندىّ (مقهى) قريب ، فجلسنا فيه ودعوت له بالقهوة العربية والشاهي فسر وانطلق يحدثني ، فقال :

لما فارقتكم ورجعت أسير في هذه البادية وحيداً ، شعرت بالوحشة وحننت إلى هذه الأيام التي قضيتها معكم ، فاستعبرت وجعلت ألوم نفسي وأقول : يا نفس ما كان ضرك لو أجبت القوم ووردت الشام فرأيت ما لم ترى ؟ ... وانصرفت إلى أهلي ، فلبثت فيهم شهراً ، ثم دعاني الأمير فارتحلت اليه ، فاذا عنده رهط من أهل الحضر يريدون دليلا ، فسرت معهم أدلهم حتى بلغت بهم مشارف الشام ، فدعوني وألحوا عليّ فاستجبت لهم فدخلوا بي دمشق ...

فلما بلغنا « الميدان » وصرنا بين البيوت ، رأيت سيارة كسياراتكم تلك ، لكنها أكبر وأضخم ، ولها نوافذ وفيها غرف ، وقد خطوا لها خطين من حديد فهي تمشي عليهما ، فقال صاحبي : هذا هو الترام ، فتعال نركب فيه

قلت : لا والله ما أحب أن أركبه

فزينوه لي وحببوه إليّ ، حتى استحييت منهم لطول ما يسألونني وآبى ، فدخلت ويدي على خنجري إن رأيت من أحد ما أكره وجأته به ، وعيني إلى النافذة إن رابني أمر قفزت الى الطريق ، وجلست حذراً ، فما راعني إلا رجل بثياب عجيبة ، قد شق إزاره شقاً منكراً ، ثم خاطه حول فخذيه ، وارتدى برداء ضيق ، قد عمد اليه فصفف في صدره مرايا صغيرة من النحاس ما رأيت أعجب منها ، فبدا كأنه قرد ... ولم أدر ما هو ، ثم رجع إليّ ما غرب من عقلي ، فقلت رومي مجنون من هؤلاء الروم الذين يحكمون الشام ، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو عليّ ، فسللت خنجري لأغمده في صدره إذا هو انتهى اليّ ، فقام إليّ صاحبي يقول :

— مالك يا سلمى ، ماذا عراك ؟

— قلت : ألا ترى الرومي المجنون ؟

— قال : أيّ رومي يا سلمى ؟ وأيّ مجنون ؟

— قلت : هذا ؟ أما تراه ؟

— قال : هذا جابي الترام

— قلت : جبّك الله ! !

وسكت فقد أقبل هذا القرد على صاحبي ، فمد اليه يداً كأنها حجر الرحى ، فوضع فيها من جُبنه قرشين ، فأعطاه بهما فتاتة ورق فما رأيت و لله صفقة أخسر منها ، وعجبت من صاحبي إذ يشتري بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشيء ، ولكني جلست صامتاً ، وما هي إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول ، رومي خبيث ، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة ، فأخذ هذه الأوراق فمزقها ... فثارت ثائرتي وقلت : هذا والله الذل ، يقبح الله عربياً يقيم على الضيم ، ويرضى أن يسام الخسف ... وقمت اليه فَلَبَّبْتُه وقلت له : يا ابن الصانعة ... أتعمد الى شيء اشتريناه بأموالنا ، ودفعنا فيه قروشنا فتمزقه ، والله لأمزقنّ جلدة وجهك ....

وحسبت صاحبي سيدركه من الغضب لكرامته ، والدفاع عن حقه مثل ما أدركني ، فاذا هو يضحك ، وإذا الناس يضحكون لما يرون مني ، لأن عمل هذا الرجل – فيما زعموا – تمزيق أوراق الناس التي اشتروها بأموالهم !

ولما نزلنا من هذه الآفة ، قال لي صاحبي :

— هلم الى الحمام ؟

— قلت : مالي وللحمام ؟

— قال : تغتسل وتلقي عنك أدران السفر

— قلت : إن كان هذا هو الحمام ، فمالي بالحمام من حاجة ، حسبي هذا النهر أغطس فيه وأغتسل

— قال : هيهات ... إن الحمام لا يعدله شيء ، أو ما سمعت أن الحمام نعيم الدنيا ؟

— قلت لا والله . ما سمعت :

— قال : إذن تسمع وترى . وأخذني فأدخلني داراً فوراء في وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من البلور ، ثم ينثني ويتكسر ويهبط وله بريق ولمعان : صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان . وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالزرابي والأرائك والمتكآت كأنما هي خباء الأمير . فلم نكد نتوسطها حتى وثب الينا أهلوها وثبة رجل

واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً ، ويصرخون صراخ من به مسّ ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة ، فانتضيت خنجري وصحت بهم : مكانكم ، فوالله لا يدنو مني رجل إلا قطعت رقبته . . .

فأحجموا ، وعجبوا ورعبوا ، فقال صاحبي : إنه يمزح . ومال عليّ يعاتبني عتاباً شديداً ، فقلت : أفلا ترى صنيعهم بنا ، أفنحب أن ندعهم حتى يأخذونا ، قال إنهم يرحبون بنا ، ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالا

فصدقته وأغمدت الخنجر ، وظن القوم أنه المزاح ، فعادوا إلى حركتهم وضجتهم ، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية ، ويجيئون ويذهبون ، وأنا لا أدري ما هم صانعون ، حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكك ، وجاءوا ينزعون عنا ثيابنا ، فتحققت أنها المكيدة وأنهم سيسلبونني خنجري حتى يهون عليهم ، فقد عجزوا أن ينالوني وبيدي الخنجر فأبيت وهممت بالخروج . فجعل صاحبي يكلمني ويحلف لي ، حتى أجبت واستسلمت ، وللموت أهون عليّ من أن أنزل عن سلاحي ، وأمنحهم سلبي حتى يسلبوني ، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة ، وليست بالصحراء ، ولو أني لقيتهم في الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير ... حتى إذا تمّ أمر الله ولم يبق عليّ إلا الازار ، أرادوا نزعه عني ، فقلت : أما من مسلم في هذا البلد ؟ أما من عربيّ ؟ أتكشف العورات فلا يغير أحد ، ولا يغضب إنسان ؟

فهدأني صاحبي ، وقال : أفتغتسل وأنت متزر ؟

قلت : لعن الله نظافة الجسم إذا كانت لا تأتي إلا مع نجاسة النفس ، ويحك أتراني أضيع ديني وشرفي وأتكشف بعد هذه الشيبة ، وتذهب عني في العرب ، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة ؟

قال : ومن أنبأك أنك ستتكشف ؟ هلا انتظرت ؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمام فقام دوني يسترني ، ستره الله ، حتى خلعت إزاري واتزرت بازار أبيض أعطونيه ... وكان صاحبي قد تعرّى كما تعرّيت فأخذ بيدي فأدخلني إلى باطن الحمام ، فاذا غرف وسطها غرف ، وساحات تفضي إلى ساحات ، ومداخل ومخارج ملتوية معوجّة يضل فيها الخرّيت ، وهي مظلمة كالقبر ، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج ، تضيء كأنها النجوم في الليلة الداجية ، وفي باطن الحمام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر ، عرى لا يسترهم شيء ، فعلمت أنهم من الجن . وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، وجعلت ألتمس آية الكرسي فلا أجدها ، فأيقنت لما نسيتها أن جنياً منهم لا بدّ راكبني ، وجعلت أبكي على هذه الشيبة أن تكون سخرية صبيان المدن ... وإني لكذلك وإذا بالخبيث يعود إليّ يريد أن ينزع عني هذا الازار الذي كسانيه ... فقلت : ويل أمهاتكم ! ما الأمكم ! أتأخذون ثيابي وسلاحي ، ثم تضنون علي بثوب يسترني ؟ الرحمة يا مسلمون ، الشفقة يا مؤمنون ! أأفتضح في الانس والجن ؟

ووثب الجن علي وأحدقوا بي وهم عرى ، فَقَفّ والله شعر بدني ، وامتلأت فزعاً ؛ فقال صاحبي وهو يضحك : أعطهم الأزار ، لقد أضحكت الناس علينا

قلت : ويحك ، وهل أبقى عريان ؟ قال : لا ، سنعطيك غيره . إن هذا جديد يفسده الماء

فاستخذيت وأطعت ، وما خوفي إلا من هؤلاء الجن أن ينفخ علي أحدهم فيحرقني ، أو يدفعني دفعة فيلقيني وراء جبل قاف !

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير ، فجلست الى الجرن حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجرى علي ، فبينا أنا على تلك الحال — وإذا بجني عار كأنه قنص عظام ، له لحية كشوك السعدان — وددت أنها عشاء لجملي . . . وقد تأبط ليفاً غليظاً — يا شر ماتأبط ! — وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً فتشهدت واستغفرت وعلمت أنه السم ، وأنه سيتناثر منه لحمي — وقصد الجنيّ إليّ — فجعلت أفر منه ، وأنوثب من جانب الى جانب ، كأنني دجاجة تفر من سكين الجزار وهو يلحق بي ضاحكا ، ويعجب من فعلي ويظن أني ألاعبه وأداعبه ، وصاحبي يقسم لي أنه الصابون .

— قلت : وما الصابون لا أمّ لك — أمصابون أنتم في عقولكم ؟ هذا هو السم ، لقد عرفته . . .

— قال : لا وأبيك إنه الصابون ، ولا ينظف شيء مثله .

— قلت : ألا شيء من سدر ؟ ألا قليل من أشنان ؟

— قال : والله ما أغشك فجرب ، ونطق الجنيّ فاذا هو والله كلام الناس ، وإذا هو آدمي من أمثالنا ، فاطمأننت وجلست بين يديه ، وأقبل على يدلكني دلكا شديداً ، وأنا أنظر هل تساقط لحمي ، هل تناثر جلدي ، فلا أجد إلا خيراً فظننت أنه قد أحسن الي ، وهممت بشكره ، لولا أني ظهر أنه شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله ، فقد كان يتغافلني ويعد

بده من تحت الأزار ، فيمس فخذى وساق ، فقلت : لو نجا منه أحد ، لأنجتني هـذه الشيبة ، وجعلت أهم بهشم أنفه ، وهتم أسنانه ثم أدعه ، حتى انتهى وصبّ على الماء سخنا ، فشمرت والله كأنما نشطت من عقال ، وأحسست الزهو والخفة ، فصحت فأنكرت صوتى ، فقلت : ما هذا ؟ أينطق على لسانى مَنْ من الجن ؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتى انكارا ، فاستخفنى الطرب وجعلت أغنى وأحدو ، فقال لى صاحبي : هل استطبت صوتك ؟

قلت : إى والله ، قال : أفلا أدلك على باب القاضى ؟

قلت : فض الله فاك . مالى وللقاضى ؟ هل أحدثت حدثاً ؟ هل آويت محدثاً ؟ هل . .

قال : ألا تعرف قصة جحا ؟

قلت : لا والله ! فمن جحا ؟ وماهى قصته ؟

قال : كان جحا عالماً نحريراً ، إلا أن فيه لوثة ، وكان خفيف الروح ، فدخل الحمام مرة فغنى فأعجبه صوته ، فخرج من فوره إلى القاضى فسأله أن ينصبه مؤذناً ، وزعم أن له صوتاً جميلاً ، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه فى المسجد

فقال له القاضى : فقم على المنارة فأذن نسمع ، فقام فأذن ، فلم يبق فى المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ . . .

فقال له القاضى : أى صوت هذا ؟ هذا الذى ذكره الله فى الكتاب

قال : أصلح الله القاضى ، ما عنعك أن تبني لى فوق المئذنة حماماً ؟

* * *

ولمح « صاحبي » أعرابياً من أهل نجد يمر فى الطريق ، فقال لى : انتظر ! وخرج يعدو وراءه . . . .

. . . . ثم لم يعد !

علي الطنطاوي

اعلان مناقصة

تفتيش مبانى بحرى القاهرة — الكائن بالدور العلوى

بوزارة المواصلات

يوم ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ١٢ ظهراً

مناقصة عملية انشاء مطعم ومطبخ لمدرسة شبرا الابتدائية للبنين

ويمكن للمقاولين الدخول فى هذه الأعمال كلها والحصول على المستندات من التفتيش المذكور نظير مبلغ ٥٠ مليم ٢ جنيه (جنيهان مصريان وخمسون مليما لا غير) ، كما يمكن للمقاولين الاخصائيين الدخول فى جزء منها حسب اختصاصهم ، وتباع مستندات الأعمال الاعتيادية بمبلغ ٣٩٥ مليم ١ جنيه (فقط جنيه مصرى وثلاثمائة خمسة وتسعون مليما لا غير) والأعمال الصحية بمبلغ ٦٣٥ مليم (فقط ستمائة خمسة وثلاثون مليما لا غير) والأعمال الكهربائية بمبلغ ٤٢٠ مليم (فقط اربعمائة وعشرون مليما لا غير) بخلاف أجرة البريد وقدرها ٣٠ مليم

وللمصلحة حق التجزئة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

اللآلى

فى شرح أمالى القالى

لأبى عبيد البكرى

أتمت لجنة التأليف طبع هذا الكتاب الجليل وقد وقف عليه الأستاذ عبد العزيز الميمني أستاذ الأدب العربى بمليگره وعنى بضبطه والتعليق عليه

والكتاب يقع فى نحو ١١٥٠ صفحة من القطع الكبير فى ثلاثة أجزاء مضبوطة أعلامه وأبياته وغريبه بالضبط الكامل

وثمنه سبعون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

وقائع كأنها قصص

السر

بقلم محمد مصطفى حمام

دخلت على الباشا والمجلس حافل والسرور شامل ، فلقيني بما عود زائريه من بشاشة وترحيب ، وأقبل بعدى آخرون يختلفون أعماراً وألواناً ، فمنهم الشيخ العتيق المحطم والفتى الأنيق المهندم ، ومنهم الحضرى الناعم والفلاح الخشن ، فتقبل الجميع بقبول حسن ، وأفاض عليهم من عطفه مثل ما أفاض على

وجاء الخادم يبشر بزائر جديد شعرت عند سماع اسمه بكثير من السرور ، فهو اسم أحد السراة الظرفاء الذين سمعت عنهم دون أن ألقاهم ، وما كان أشوقنى إلى هذا اللقاء !

ولم ينتظر الزائر اذن الباشا بالدخول ، بل أقبل فى أثر الخادم ، وإذا نحن نستقبل رجلا سمهرى القامة ، بهى الطلعة ، وافر الحظ من المهابة والروعة ، ولقد اهتز له المجلس تعظيما وإكباراً ، إلا الباشا فلم يعبأ بمقدمه ، ولم ينشط لاستقباله ، بل صافحه وهو لاصق بكرسيه ، ثم أشاح بوجهه عنه ، وأقبل بالحديث على سواه

وأخذتنى من هذا اللقاء السيء دهشة وعجب ، وحملت ألتمس للأمر كثيراً من العلل

قلت لنفسى : قد يكون القادم من الأنسباء أو ذوى القربى ، فلا حاجة بصاحب الدار إلى المبالغة فى تكريمه ، أو لعل اقتحامه المجلس دون انتظار الاذن هو الذى أغضب الباشا عليه

ورأيت جو المجلس قد أظلم بعد استقرار الضيف الجديد فى مكانه ، وبدا على الباشا ضيق وضجر ، وحاول الرجل أن يظفر من صاحب البيت بلفتة إليه ، أو إقبال عليه ، فلم ينل إلا جفاء وإعراضاً

ثم انحنى على الباشا يحاول أن يسر إليه حديثاً ، فنهره كما ينهر السائل ، وصاح به وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

لقد انقطع ما كان بينى وبينك ، فلا تعكر صفاء مجلسى بقدومك ، ولا تحاول استرداد مودتى فذلك ما لن يكون

وانصرف الزائر خاسئ البصر ، لا يكاد يرى مما حوله شيئاً ، وودعناه راثين لحاله ! وأخذ المجلس يتبدد ، حتى لم يبق إلا أنا وصاحب الدار ، فلما هممت بالانصراف استبقانى

قال الباشا : لعلك أسأت الظن بأدبى ؟

قلت : معاذ الله

قال : أظنك فى دهشة من سوء لقائى لضيفى ، وربما أهمك أن تعرف السر

قلت : لا أرى فى معرفته بأساً

قال : لا يزال الصديق محبباً إلى قلبك ، رفيع القدر فى عينيك ، حتى تكشف لك الأيام منه عن عورة لا تستطيع الاغضاء عنها ، فهنالك يومئذ من ذنب إذا سقط عندك مقداره ، وتمكن من نفسك احتقاره

هذا رجل صاحبنى خمسة أعوام كاملة ، ملأ فى خلالها جوانب قلبى ، واستأثر دون الأصدقاء بحبى ، وجمعت بيننا مجالس بعضها لله وبعضها للشيطان ، وفى أمثال هذه المجالس أسخو بالمال وأكون المتلاف البدال

وكان هذا الرجل زميلى فى كل هذه المجالس ، ودليلى اليها فى أكثر الأحيان

وقادنى إلى بيت فى حى من أجل أحياء المدينة ، نادمنا فيه نسوة ثلاثاً كأنهن الحور العين ، فقطفنا منهن ورد الخدود ، وداعبنا غصون القدود ؛ وصار هذا البيت مهد غرامنا نسعى اليه بين الحين والحين ، ولكن فى جنح من الليل ، وفى غفلة من الجيران

وما هى إلا أشهر معدودات ، حتى علمت علم اليقين أن هذا البيت الذى نعبث بنسائه ونلهو ، هو بيت صاحبى دون سواه ! وأن نديماتنا هن امرأته وقريبتاه ! هن اللائى نغازلهن ونقبلهن ! وهن اللائى ينلن منى أجر العبث بهن ، أدفعه سخياً كريماً ، ويتقبله راضيات فرحات !

ولقد أخذنى من هذه الحقيقة اذولة هول وفزع ، لقد تكشف لى صديقى عن نفس خبيثة وعرض ممزق !

قلت : فهلا كاشفته بما علمت من دخيلته ؟

قال : لقد كان عذره أقبح من ذنبه ، لقد أفهمنى أنه وقد

نظرية النسبية الخصوصية

البحث الثالث

مبادئ الميكانيكا الحديثة

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ١ —

لقد قررت سنة لورانتز فى التقلص أن سرعة النور أقصى سرعة يمكن أن توجد فى الكون ، وهذه السنة نتيجة لكون سرعة الجسم كلما أخذت فى الزيادة أخذت كتلتها تتقلص من اتجاه حركتها بنسبة رياضية ثابتة ، حتى إذا ماقاربت سرعتها سرعة النور بلغ التقلص حداً لا متناهياً ، لا يمكن أن يتقلص الجسم المتحرك بعده . فلو فرضنا جسما يتحرك بسرعة معينة ولتكن (س) ، فهذا الجسم حسب قانون التقلص يتقلص بمقدار ثابت مثل (ث) ومقدار هذا التقلص :

$$ث = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{س^2}{ن^2}}}$$

ولا يمكن أن تتجاوز السرعة (س) فى أى وقت سرعة النور (ن) لأن هذا القانون يتلاشى إلى حيث لا يكون له معنى [١]

لنفرض كتلة مادية مثل (ك) مقدار طاقة الحركة التى بها (ط ع) ، وهذه الكتلة تتحرك بسرعة مثل (س) ، فهذه الكتلة تقرر قواعد الميكانيكا الكلاسيكية أن طاقتها الحركية :

$$«ط ع» = \frac{1}{2} ك س^2$$

غير أن مبادئ النسبية استناداً على قوانين المجال الالكترومغناطيسى ، ونظرية «ماكسويل — لورانتز» تقرر أن

$$ط ع = \frac{ك ن^2}{\sqrt{ن^2 - س^2}}$$

فمقدار حركة الكتلة المادية (ك) لا يمكن أن تتجاوز فى سرعتها سرعة النور . حيث أن سرعة الكتلة المادية المرموزة لها بالرمز (س) تستنفد فى حركتها جزءاً من مقدار طاقة الحركة (ط ع) حتى إذا ما بلغت سرعة النور سرعتها تكون الطاقة قد استنفدت كلها [٢]

— ٢ —

لو فرضنا قوتين : سرعة الأولى (س) وسرعة الثانية ($س_1$) وأن هاتين القطتين أثرتا على نقطة مادية فى اتجاه واحد . فتكون سرعة هذه النقطة المادية محصلة هاتين السرعتين ولنرمز بالرمز ($س_2$) فقانون الحركات الكلاسيكى يقرر أن

$$س_2 = س + س_1 \quad «معادلة ١»$$

وهذا القانون النيوتونى يتبدل عند اينشتين ويتشكل فى صورة رياضية أخرى تقررها المعادلة :

$$س_2 = \frac{س + س_1}{1 + \frac{س س_1}{ن^2}} \quad معادلة ٢$$

وهذه الصيغة الجديدة نتيجة لمبدأ ثبات انتشار النور [٣]

فمثلا لو فرضنا نظاما ماديا يبتعد عن الشمس بسرعة ١٣٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية ، فشعاعة النور الصادرة من الشمس والتى

(1) M. A. Sommerfsld : Physik Zeitschrift., 8 (1907) P. 842—843.

(2) Levr Civita : « L'Enseiguement Mathematipue » Rome 1926 p. 155-156

(3) O. Maumann : « Annalen der Phijsik » 45 (1914) P. 525

عرف فى البعد عن الجريمة المنكرة ، وجرب على القناعة بالقبلة والنادمة ، وشهد سخائى فى البذل ، رأى أن يؤثر نفسه ونساء بيته بمالى ، فهو وهن أحق بذلك المال الذاهب هباء ، والملقى إلى أناس آخرين ، ولم يجد فى الأمر ثلماً للعرض ولا نقصاً من الشرف ، مادام الغزل لا يصل إلى نهايته الأثيمة !

***

وتراءت فى عينى صورة الرجل حين رأيته لأول مرة ، وقارنت بين جمال المنظر وسوء المخبر ، فذكرت قول الشاعر :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم
إذا كانت الأعراض غير حسان !

محمد مصطفى حمام

تتحرك نحو هذا النظام بسرعة ١٣٫٠٠٠ كم في الثانية تكون سرعتها بالنسبة لراصد في النظام المادي :

٣٠٠٫٠٠٠ كم + ١٣٫٠٠٠ كم = ٣١٣٫٠٠٠ كم في الثانية حسب مبادىء الميكانيكا الكلاسيكية . أما قواعد النسبية فتقرر أن سرعة شعاعة الضوء للمشاهد حسب قانون تركب السرع كما تقرره الميكانيكا الحديثة هي :

$$\frac{٣٠٠٫٠٠٠ + ١٣٫٠٠٠}{١ + \frac{٣٠٠٫٠٠٠ \times ١٣٫٠٠٠}{٣٠٠٫٠٠٠^{٢}}} = ٣٠٠٫٠٠٠ \text{ كم في الثانية}$$

وهذه النتيجة توضح لنا تماماً أن سرعة النور سرعة مطلقة لا تتغير [١]

— ٣ —

إن علم الحركات «Cinematique» يرى في الزمان حداً رابعاً للمادة ، ولكنه لا يخرج عن كونه مجرد ملاحظة رياضية ، حيث أن الزمان مطلق ومستقل عن المكان ، وقد كان أستاذنا هنرى بوانكاريه الشهير يفرض أن الزمان بعد رابع موهوم للمادة ويستند في إثبات ذلك على الرياضيات الثابتة Invariant إلا ألبرت اينشتين ومينقوفسكى تمكنا من إثبات أن الزمان له شأن طبيعي كحد رابع للحوادث [٢]

إذا فرضنا وقوع حادثتين غير معينتين وكان الخط الواصل بين الحادثتين (خ) مثلاً . فانتقالنا من نظام إلى آخر لا شك سيؤثر في الخط الواصل بين الحادثتين وسيتأثر الخط بانتقالنا ويتغير (راجع مقال وحدة قوانين الطبيعة)

وإذا كان الزمان الفاصل بين أوان وقوع الحادثتين « ت » مثلاً ورمزنا لسرعة الضوء بالرمز (ه) كان معنا المعادلة

$ف^{٢} = « ه^{٢} ت^{٢} » - خ^{٢}$ (معادلة ١) ، وهذه المعادلة ثابتة لا تتغير حيث فيها (ف) رمز لفاصلة الزمان المطلقة ، والحادثات

ك ، ى ، ه ، ت ؛ $ك_{١}$ ، $ى_{١}$ ، $ه_{١}$ ، $ت_{١}$ لو طبقت على قانون التحويل الذي وضعه لورانتز كانت النسبة بين مجموع حوادث الكونين ثابتة حيث أن :

$$ف^{٢} = ه^{٢} (ت_{١} - ت)^{٢} - (ك_{١} - ك)^{٢} + (ى_{١} - ى)^{٢} = (ه_{١} - ه)^{٢} \text{ (معادلة ٢)}$$

فإذن ليس الزمان بذلك الوجود المستقل عن المكان بل إنه مندمج فيه ، وليس الزمان والمكان مطلقين بل هما نسبيين إلا أنهما يندمجان في الفاصلة الثابتة الرياضية (ف)

ليس للزمان ولا المكان شأن طبيعي وإنما إندماجهما يولد معنا حقيقة واحدة . فالمكان امتداد الزمان ، أعني أن فواصل حوادث العالم تندمج في (ف) ٢ الثابتة الرياضية وتكوّن وحدة هو كون « الزمان — المكان »

هذا الكون [١] لا يتبع نسب وقياسات الحوادث ، بل هو مطلق فلكل حادثة أو مجموعة من الحادثات مكانها وزمانها الخاص بها . أما كون « الزمان — المكان » فهو ذو حقيقة مطلقة غير تابعة لقواعد القياس . والمكان في حد ذاته ليس إلا مجموعة فواصل الحوادث ، فواصلها الفراغيـة المتساوية أعني أنه قطاع للعالم في زمان خاص ، أو بلغة أبسط هو العلاقة الانتشارية بين الحادثات واندماج المكان بالزمان في الثابتة الرياضية (ف) ، توجد علاقة ثابتة بين الحوادث هي الفرق بين مربع الفاصلة الفراغية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية . هذه العلاقة تؤلف بين الحادثات وحدة ممتازة تحيل الكون عالما مطلقا هي منه الصفة المطلقة الوحيدة [٢]

— ٤ —

لنفرض [٣] نظاما ماديًا مثل (ظ) يتحرك حركة نسبية إه إ ى نظام مثل ($ظ_{١}$) ولنفرض أن (خ) خط ثابت بالنسبة للنظام الثاني متحرك بالنسبة للأول بسرعة محدودة لنرمز لها بالرمز (س) فطول هذا الخط بالنسبة لمشاهد في النظام الأول غيره بالنسبة لمشاهد في النظام الثاني

ولنفرض أن (خ) يمتد من النقطة « م » إلى النقطة ($م_{١}$) فستبدو كل نقطة حادثة مستقلة عن الأخرى لكل من المشاهدين . وسيرى المشاهد الذي في النظام « $ظ_{١}$ » الحادثين متواقتين . أما المشاهد الذي في النظام (ظ) فان (خ) ستبدو

(1) Edham (I A) die Grundlangen der Relativitaetstheere, Leipzig 1934-1935 Uol 3., P.92-93

(2) M. A. Sommerfeld : Annalen der Physik, 44 (1914) P. 175 — 177

(1) Fritz Beer : Die Einsteinsche Rehativitaetstheorie , Wnin 1909 6 . 118 — 119

(٢) شارل مالاي : « الفضاء ــ الزمن » مقتطف يناير وفبراير ١٩٣٢

(2) Edhem (I. K.) ; Türk Ansiklopedia., Istanbul nesriyati. 18 cilt., 1935 (5) . P. 355 — 356. Izafiyat prnsipi.

له أطول مما تبدو للمشاهد الذى بالنظام (ظ١) كما وأن كل نقطة من نقطى الابتداء والانتهاء ستبدوان له حادثتين مستقلتين عن بعض غير متواقتين

ولنفرض أن المحورين « ل م ؛ ل١ م١ » منطبقين على بعضهما كل الانطباق وأنهما موازيين استقامة السرعة (س) للخط (خ) فى كل من السكونين (ظ) و(ظ١) فاذا كانت المحاور

م ل ، م ى ، م ه .... (١)

موازية للمحاور

م١ ل١ ، م١ ى١ ، م١ ه١ .... (٢)

فى كل من النظامين (ظ) و (ظ١) كان :

ل١ = ث (ل − س ت)   معادلة رقم (١)

ولا بد من أن يكون :

ل١ = ث ل   معادلة رقم (٢)

ليتحقق معنا تعادل المركز (م) مع الزمان (ث) ومن انطباق المركز على الزمان نستنتج أن

ل = ل١ / ث   معادلة رقم (٣)

وهنا تؤدى إلى أن :

ا / ث = √(س٢ / ن٢)   معادلة رقم (٤)

حيث أن ا رمز لمادلة التقلص

ولما كان القدار العالى أصغر من (ا) كان ل١ ل١ [1] إن الخط (خ) بالنسبة للمشاهد الذى بالنظام (ظ١) أطول مما هو بالنسبة للنظام الأول . ومسئلة تقلص الأطوال شيئاً فشيئاً كما تقرره ميكانيكية لورانتز ليست راجعة لتقلص الأجسام فى اتجاه حركتها وإنما هى نتيجة لنسبية الأطوال . وليس هذا التقلص حقيقياً بل هو ظاهرى حيث أن الواجب لا يمكنه ترتيب حدوث الحادثات كما تقع وإنما يرتبها حسب ما تتراءى له . وتقسيم الزمان والمكان تقسيما مطابقاً لوضوعها فى صورة مستقلة عن بعضها لا يمكن إجراؤها فى أى حال حيث أن سرعة اندفاع الجسم إذا بلغت سرعة انتشار النور أو ما قاربها بلغ التقلص أقصاه ولم يصبح للجسم عمق لدى النظر ، لأن الأجسام عند ما تبلغ من السرعة هذا الحد تلوح كصفائح رقيقة [1]

وحاصل القول إن الأطوال تابعة لحالات المشاهدين الطبيعية من الحركة والسكون

— ٥ —

لنفرض [2] ساعة فى النظام (ظ) . فهذه الساعة سيبدو إشمارها للزمان متأخراً بالنسبة لساعة النظام (ظ) فهذا التقاص فى الزمان نتيجة للملاقة بين (ت ، ت١) حيث أن :

خ ت = ث خ ت١   معادلة (١)

ولما كان تقلص الأطوال نتيجة للقانون :

خ ل = خ ل١ / ث   معادلة (٢)

فقليل من البحث والاستفاضة فى الدرس يكشف عن تساوى كل من :

خ ل خ ت = خ ل١ خ ت١   معادلة (٣)

حيث أن

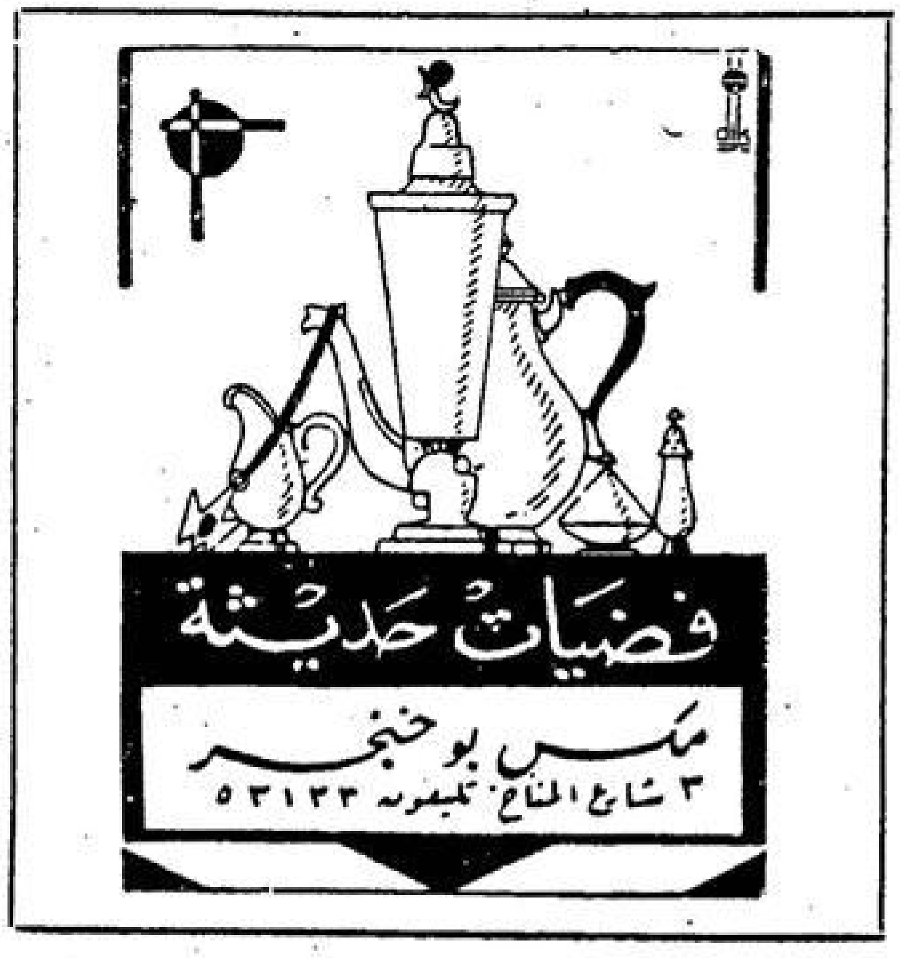
خ ل ، خ ى ، خ ه ، خ ت = خ ل١ ، خ ى١ ، خ ه١ ، خ ت١   معادلة (٤)

ونخرج من هذا التساوى بحجم الجسم فى عالم ذى أبعاد أربعة أو طوله فى ذلك العالم

« للبحث بقية »   اسماعيل أحمد أدهم

(1) J. A. Schouten; Die direkte analysis zur neueren Relativitaetsiheorie., Amesterdam. 1919. P. 128 — 129.

(2) Hermemm Weyl Raum . Geitumd Materie . Berlim 1921 . P . 235



(١) راجع البحث الثانى عن قوانين لورانتز التحويلية وانظر الشكل

(٢) ص ٩٧ بالعدد ١٣٣ من الرسالة

رسائل حاج

٤ ـ من ربوع الغرب

إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

تتمة

وقف جلالة الملك ابن السعود فوق ذروة « جبل الرحمة » كرمز خالد لعبقرية الأمة العربية ، يذرع الفضاء بعين نسر جبار ، ويشرف على راحة الحجاج الضاربين خيامهم فى السهول المجاورة . لكم كان منظره فاتناً خلاباً ، والشمس تكنفه وتشرق عليه ، بينا يلتف حوله الحرس الوهابى بملابسهم المزركشة وخناجرهم التى تلمع مقابضها فى وهج الظهيرة

وقبيل الغسق تحرك الركاب الملكى شطر « المزدلفة » فظهر فى الجو غبار كثيف امتزج بصيحات الوهابيين الذين كانوا يهتفون : « نحن أنصارُ التوحيد ، إخوة من أطاع الله » وليس لأى كاتب مهما بلغت عبقريته أن يصف هذا المنظر وصفا شافيا ، ومن لى بالفصاحة والبيان لأصوره على حقيقته ؟

وعند وصولنا الى « منى » ، بلغ مسامعنا نبأ محاولة اغتيال الملك ، فان ابن السعود ما كاد ينتهى من طوافه المرة الثالثة حتى داهمه أربعة من اليمنيين وهم يصيحون بأعلى أصواتهم : الله أكبر ! الله أكبر ! محاولين أن يطعنوه بخناجرهم . فان لليمنيين مهارة وحذقا خاصا فى استعمال الخناجر ، لكنهم لم يصيبوا سوى ولى العهد وهو يهم بانقاذ أبيه . ثم حمل الجنود على الجناة وحاولوا أن ينزعوا سلاحهم . ولما لم يفلحوا اضطروا إلى رميهم بالرصاص ، وأريقت دماؤهم فوق ثرى هذه الأرض المقدسة . وكان الملك الذى طالما خاض غمار حروب ومعارك حتى لم يخل جسمه من شبر واحد من آثار الجروح ، هادئا ساكنا فلم تبدُ على وجهه أمارات الجزع ، بل قصد لساعته بئر زمزم فتوضأ ، ثم عاد الى اتمام طوافه بالكعبة

وكان للحادث أثره المؤلم فى نفوس الحجاج ، فاستنكروا بشاعة الاغتيال ، وتوغل بعض القتلة فى الصفوف فخشى أن يحدث فرارهم ذعرا فى القلوب . ولقد أحسن الملك صنعا بعودته السريعة الى منى ليزيل ما علق بنفوس الحجاج من الرعب ، فانه ما كاد يستقر فى سرادقه حتى هرعت اليه جموع الحجاج ووفود البلاد لتقدم تهنئتها بنجاته من يد الآثمين . هنا سنحت الفرصة لأن أقف وجهاً لوجه أمام العاهل العربى الذى يحكم بلاده بالعدل والشريعة ، ويسودها بالعطف والمحبة ؛ فقد كان ابن السعود يجلس فى سرادقه تحيط به ثلة من الحرس النجدى ، وهم من صفوة الرجال الأشداء ، وكانت ملابسهم المزركشة تخطف بسناها الأبصار ، يتوج رؤوسهم العقال البدوى ، وتتدلى من تحته ضفائر الشعر الكثيف الأسود حتى تصل إلى صدورهم ، بينا أقداح القهوة العربية وأكواب الليمون المثلج تطوف على الوفود بين حين وآخر . وعند ما غشيت مجلس الملك كان الخطيب الماثل بين يديه قد انتهى من خطابته ، فلما التقى طرف الملك بطرفى أومأ إلىّ أن أتقدم ، فجمعت شجاعتى وأنا فى نشوة روحية عميقة ، ورفعت يدى إلى رأسى إجلالا واحتراماً ثم تقدمت ...

لقد قابلت فى شبابى وأنا فى استامبول ، السلطان عبد الحميد ، ورافقت السلطان محيى الدين فى إحدى سياحاته ، وزرت السلطان رشادا ، وتحدثت إلى كثير من الرؤوس المتوجة فى أوربا ، لكننى لم أشعر مطلقاً أنى وقفت وجها لوجه أمام التاريخ الا فى تلك المقابلة ، لا سيما عند ما رفعت عينى إلى وجه ابن السعود ، ولمحت فى ثناياه دلائل الحزم والقوة والشفقة والحنان والمهابة والجلال . ولقد لاحظت أن بطرف عينه اليمنى حولاً ، بينما العين الأخرى قوية سليمة ، والمعروف عن الملك أنه شجاع مقدام ، تضرب القبائل بشجاعته المثل ، فمنذ ما كان فى الحادية عشرة من عمره ، قاتل فى إحدى المعارك خصماله فقضى عليه بضربة من حسامه ؛ وهو رجل شديد الايمان بالله ، ولقد كان إيمانه من أقوى الأسباب فى تأسيسه المملكة السعودية واحياء مجد الجزيرة العربية

وما كدت أقف أمام الملك حتى خاطبته بصوت جهورى فيه

كل معانى الاخلاص : السلام على أمير المؤمنين ، إنني أحمد الله على نجاتك من يد ذلك القاتل الأثيم عدو الدين

ومدّ إلىّ ابن سعود يده فصافحتها ثم طلب إلى أن أزوره فى قصره ؛ وبعد أن شهدت حفلة الاستعراض العسكرية التى أقيمت « بوادى الشهداء » ورأيت ضروباً من الفروسية العربية ، تلك الفروسية التى خلقت من الحب أدباً عالياً ومن المرأة صنما معبوداً توجهت إلى القصر الملكى بناحية « المعلى » بالضواحى ، وهو قصر عظيم شامخ البنيان ، يشبه الحصون العسكرية ، ويشتمل على عدد كبير من الغرف المتسعة الأرجاء والردهات والابهاء ذات العمد

وجلست بقاعة الاستقبال ، فى انتظار التشرف بالمقابلة ، فسرنى أن التقيت بكثير من أعيان العرب ، الذين يأتون للمثول بين يدى الملك بملابسهم الفخمة ، فيحادثهم كانسان يستشير اخوته ، ويرسم معهم كل ما يتعلق بسياسة الدولة وتدبير وسائل الرفاهية والراحة للحجاج . ولقد راعتنى البساطة التى ألفيتها متمثلة فى الملك والشعب معا ، فالرسميات المعقدة التى تتبع فى بلاط ملوك أوربا لا وجود لها فى هذا البلاط العميق الديموقراطية . والواقع أن ابن السعود هو عاهل الجزيرة العربية بلا منازع ، ولم يؤل الملك اليه عن طريق الوراثة ، بل آل إليه عن جدارة واستحقاق

وطفقت أستوعب الدقائق إلى أن يحل دورى فأتشرف بالمثول بين يدى الملك ؛ وكنت فى خلال فترة الانتظار جالساً فى مكتب سعادة فؤاد بك حمزة وزير الخارجية ، الذى ذكر لى أنى أول حاج قدم إلى مكة من بلاد المجر ؛ وما كاد يحل دورى حتى تقدمنى فؤاد بك حمزة وغشينا مجلس الملك ، وبعد أن صافحته أومأ إلى أن أجلس بجواره ، وقدمت إلينا القهوة ، فرأيته يرشفها بشغف ولذة . ثم بدأ الملك يتحدث إلى فقال : « لقد قدمت من نجد إلى الحجاز وجبت البلاد من الشرق إلى الغرب لزيارة بيت الله وتفقد حالة الحجاج . وغاية ما أرمى اليه أن أؤلف بين قلوب رجالى متوسلا إلى الله أن يلهمنى وإياهم الصواب فى أعمالنا . لقد عنيتُ عناية خاصة باقامة الشرائع المحمدية ونشرت الأمن والسلام فى أنحاء الجزيرة العربية ، وفى وسعك الآن أن تتجول فى أقصى بقعة من بقاع الجزيرة دون خوف ولا وجل . وسترى عما قريب أننى سأعيد إلى هذه البلاد عظمتها القديمة حتى تصبح موئل الاسلام كما كانت أيام سيد المرسلين »

إن هذا العاهل العربى العظيم يلمس تماماً مواطن الضعف فى كل ركن من أركان بلاده ويعمل على اصلاحه وتقويمه ما استطاع إليه سبيلا ؛ فالسلام مع الرقى والتقدم هما الأمران اللذان يعني بهما عنايته بطعامه وشرابه ، واقامة حدود الله مع المحافظة على استقلال الجزيرة هما الغايتان اللتان يسترشد بهما فى تأدية واجبه ، وهو لعمرى الطريق السوى الذى يجب أن يسير فيه . وملك هذه صفاته وأعماله جدير حقاً بأن يخلد التاريخ ذكره فى ثبت الوجود

وبعد أن انتهيت من زيارتى استأذنته فى الانصراف فقام من مجلسه منتصباً وبسط إلى إحدى يديه الغليظتين وظل قابضاً على يدى برهة وهو يرمقني بعينه المتسمة ، وكانت ملامحه تدعو إلى الهيبة والاحترام إلى حد ألفيت نفسى عاجزاً عن أن أرفع إليه بصرى ، ثم مالبثت أن هويت بفمى على راحته ألثمها فى إكبار وإجلال

ولما أزفت ساعة الرحيل ودعت أصدقائى من سادة العرب وكبار العلماء كالأستاذ محمد شطا شيخ قضاة مكة ، ورئيس الشرطة ، وبعض الأطباء النابهين ، ووصلت إلى جدة حيث قضيت أياماً فى ضيافة الشيخ محمد على وهو رجل علامة يحذق لغات شتى ، وقد تجول فى أنحاء أوربا ، ويعرف الشيء الكثير من عادات الشرق والغرب

وأقلعت الباخرة فوقفت فى مقدمها واجما ساكنا تتناهبنى شتى العواطف ، وأنا أودع هذه الأراضى المقدسة التى ربما أراها المرة الأخيرة . وكلما بعدت بنا الباخرة اغرورقت عيناى بالدموع ، فقد خلفت فى تلك الديار صداقة جديدة تكاد لعذوبتها تشبه الحب ، وذكرى عزيزة هى ثمرة عقيدتى فى الاسلام واليوم الآخر . فما أعظم الفرق بين مدنية أصدقائى العرب ، إخوانى فى الله ، الذين تشيع فى قلوبهم فكرة الاتصال بالواحد القهار فيصدفون عن الماديات ، وبين مدنية المغرورين الذين يتهالكون فرقا وراء قضبان المادة وينفقون غلتهم فى شهوة المال !

عبد الكريم جرمانوس

مديرية أســـــوان

والحد الفاصل بين مصر والسودان

بقلم رشوان أحمد صادق

B . A فى الجغرافيا

أتحدث اليوم عن علاقة مصر بالأقاليم الجنوبيـة واهتمام المصريين بالحدود المصرية الجنوبية منذ بدء التاريخ الى اليوم فأقول :

أول من اهتم بالجهات التى تتاخم حدود مصر الجنوبية هو الملك بيبى الأول ثانى ملوك الأسرة السادسة فأرسل القائد أونا (Una) الى كروسكو ليجمع بعض أنواع الأخشاب فساعده قبائل تلك الجهات على أداء مهمته واعترفوا بسيطرة الملك بيبى عليهم . ثم أرسل الملك متوسوفيس (وهو الملك الثانى عشر من ملوك الأسرة السادسـة) القائد هرخف لغزو بلاد بنت فعاد يحمل البخور والأبنوس والعاج والجلود حملها على ثلثمائة حمار وحمل معه قزماً من الدنقس أتى به من (بر الأطـلال) . فلما وصل مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه الملك بيبى الثانى فسر بخبر القزم فـكتب إلى هرخف يأمره باحضاره إلى منف ، وهذا نص الـكتاب : « واصحب معك فى السفينة بعض الخفراء لحراسته كى لا يقع فى الماء أو يفلت فى الليل ، لأنى أسر برؤية القزم أكثر من جميع ما أحضرت من بلاد بنت » ، فحفر هرخف هذا الخطاب مع خبر غزوته على واجهة قبره فى جزيرة الفنتين

وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل (أوسرتسن) الأول ثانى ملوك هذه الأسرة القائد هونو Huno إلى بلاد بنت بطريق قفط والقصير لجباية الجزية من أمراء تلك البلاد ، فأدى مهمته ثم عاد . وقد جرد هذا الملك حملة بطريق النيل فامتدت حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثانى ، وقد عثروا على حجر فى هيكل جهة حلفا (نقل الآن إلى فلورنسا) وعليه صورة هذا الملك وبجانبه المشايخ الثمانية رؤساء القبائل التى تغلب عليها ؛ وفى عهد (اوسرتسن) الثالث خامس ملوك هذه الأسرة امتدت حدود مصر إلى شلال سمنه جنوباً ، وتوجد آثار هيكل من بقايا أعمال ذلك العصر ، كما وجد حجران جعلا الحد الجنوبى للبلاد المصرية مكتوباً على أحدهما ما معناه : « هذا حد مصر الجنوبى الذى عين فى السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث الخالد الذكر ، فلا يجوز لأحد من السود أن يتعداه إلا فى سفن تحمل البقر والماعز والحمير » ، ووجد على الحجر الثانى ما معناه : إن الملك شيد هذا الحجر فى السنة السادسة عشرة من حكمه وجعله حداً فاصلا بين مصر واتيوبيا ، وله تمثال فى تلك الجهة ، وتوجد قلعة من آثاره فى ممتوق . وفى جزيرة ارقو توجد تماثيـل وأطلال من آثار الأسرة الثالثة عشرة

وفى عهد الأسرة الخامسة عشرة التى أسسها العمالقة كانت مصر فى حالة اضطراب ، وهاجر كثير من المصريين إلى اتيوبيا وكونوا معاقل أهمها معقل ارقو ، وحملوا معهم كثيراً من طرق الصناعة والفنون المصرية وأصبحوا دولة منظمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولم يتم الملك لأحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا بمساعدة ملك اتيوبيا الذى زوجه من ابنته وساعده على طرد الهكسوس من مصر ؛ ويظهر أن عاصمة بلاد الأتيوبيين هى مدينة نبته عند جبـل البرقل بالقرب من مروى ويعرف بالهيروغليفية باسم الجبل المقدس ، ودامت العلاقات الحسنة بين مصر واتيوبيا إلى عهد تحتمس الأول ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة إذ غزا الأتيوبيين وانتصر عليهم

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة غزا رمسيس الثانى بلاد اتيوبيا وأقام هيكلا فى كلابشه تذكاراً لانتصاراته ويعرف الآن عند سكان كلابشه باسم بيت الولى . ورسم على الهيكل صورة رمسيس الثانى وهو يحارب فى عربة ، وعدة صور يتضح منها هزيمة الأعداء وتقديمهم القرابين له مثل الخواتم وأكياس الذهب وجلد الفهد وسن الفيل وبيض النعام . وجدد استخراج الذهب والزمرد من وادى العلاقى المعروفة قديماً باسم اكيتا akita وعلى هذا الطريق قلعة يظن أنها من أعمال رمسيس الثانى

ودامت سلطة مصر على اتيوبيا حتى الأسرة العشرين بعد ذلك انفصلت أتيوبيا عن مصر ، وذلك أن (سمنتوميامون) أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين نفى بعض الـكهنة المصريين إلى أتيوبيا فخرجوا عن طاعته واستقلوا تحت إمرة أحدهم

وبذلك رجعت حدود مصر إلى ما كانت عليه قبل الغزو

وفى آخر حكم الأسرة الثانية والعشرين هاجم الأثيوبيون مصر وأخذت حدود مصر الجنوبية تتراجع شمالا حتى استولى الأثيوبيون فى أيام الأسرة الثالثة والعشرين على صعيد مصر . على أن بمنخى ملك أثيوبيا بعد أن استولى على مصر فوجئ بخروج البلاد عليه وتقاسمها الأعيان لمدة خمسة عشر عاماً إلى أن قام أحدهم ويدعى (ابسماتيك) واستعان بجنود يونانية واستولى على جميع الأراضى المصرية وطرد الأثيوبيين وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان . ولقد ذكر (هيرودوت) خبر فرار بعض الجنود المصرية فى عهد ابسماتيك مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فقال إنهم ذهبوا إلى أثيوبيا واستوطنوا هناك وأطلق عليهم اسم (الأوتومولى) وعرفوا بهذا الاسم حتى القرن الأول للميلاد

وفى عهد البطالسة زحف ثامن ملوك هذه الأسرة على مملكة مروى وفتحها ثم سار جنوبا ففتح مدينة أكسوم ، ودون خبر فتوحاته باللغة اليونانية على حجر من الرخام فى ميناء (أدولس) المعروفة الآن بميناء (زولا) على عشرين ميلاً جنوبى (مصوع وهى ميناء أكسوم) ومع ذلك فقد عادت الحدود مرة أخرى إلى المحرقة فى عهد سلفه

وبعد وفاة كليوباترا آل حكم مصر إلى الرومان . وأول من تولى مصر من الرومان هو كرنيليوس جالسن وقد ظهر من بعض النقوش على بعض الآثار أن الملك (نويا كوتاس خوانوس)، ويظن أنه ملك نوبه ، أرسل رسلا فى أيام هذا الحاكم إلى فيلة ودخل فى حامية الرومان . وحاولت أثيوبيا غزو مصر فى عهد ملكتها (كنداكه) حينما كان الرومان مشتغلين بغزو بلاد العرب ولكنها لم تفلح . وفى عهد (نيرون) أرسل حملة للكشف عن منابع النيل فوصلت الى إقليم كثير المستنقعات ربما كان إقليم السدود الحالى ، وكانت المحرقة آخر حدود مصر أيام الرومان كما كانت أيام اليونان ، فرأى الامبراطور (ديوقلشيان) أن خراج البلاد التى بين المحرقة وأسوان لا يفى بنفقات الجند اللازمة لحمايته فلا فائدة من الاحتفاظ بهذه البلاد فاقطعها للنوبة وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان وقوى حامية الفنتين

وفى عهد الحكم العربى غزا المسلمون النوبة . قال ابن الأثير (فغزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق) وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عشرين ألفاً الى النوبة فمكث بها مدة ثم صالحهم وقرر عليهم الجزية ثم ، استدعاه عمرو إلى مصر ثانية ؛ وبعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله مكانه ، وكان أهل النوبة نقضوا الصلح ووصلوا إلى الصعيد فردهم وغزاهم مرة ثانية وصالحهم على أن يدفعوا ٣٦٠ رأساً من الرقيق سنوياً على ان يرسل عبد الله اليهم بعض الحبوب . ويقول المسعودى (ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدد الأمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها . فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ

وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستنتزع من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتيعت منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم لا يقروا لملوكهم بالعبودية ، وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم ، يجب علينا طاعته وترك مخالفته ، فان كنتم أنتم عبيدا لملككم وأموالكم له فنحن كذلك . ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعاً من وصفنا أحراراً غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة فى غير بلاد مريس) . من ذلك يتبين أن الحدود الجنوبية لمصر لم تكن محددة تماما أيام العرب ، إذ أن بعض المصريين كان يملك أراضى داخل حدود النوبة . ويقول المقريزى إنه فى سنة ٨٧٠ م ذهب

أبوعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى الى محاربة النوبة ورجع غانما . ويفهم من كلام المقريزى أنه فى سنة ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعاً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل (أنوجور بن الأخشيد) سنة ٩٥٧ م برا وبحرا وأسروا بعض النوبيين الذين ضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة ، وسار الخازن حتى فتح مدينة أبريم ، وقدم الى مصر سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيرا . وقال ابن الأثير (فى سنة ١١٧٣ م سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر الى النوبة فوصل الى أول بلدهم . وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر ، فاستقر الرأى بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى إذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فان قووا على منعه أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها . فجهز شمس الدين وسار الى أسوان ومنها الى بلاد النوبة ، فنازل قلعة اسمها أبريم فسلمت ، وأقام بها ولم ير للبلاد دخلا يرغب فيه ، فتركها وعاد الى مصر بما غنم من العبيد والجوارى) . وقال المقريزى عن توران شاه هذا ما يأتى : (وأعطاه صلاح قوص وأسوان وعيذاب ، وجعلها له اقطاعا ، فكانت عبرتها فى تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ، ثم خرج لغزو النوبة سنة ١١٧٤ وفتح قلعة ابريم) . واستمر غزو المماليك لبلاد النوبة مثل الظاهر بيبرس وقلاوون وغيرهم . ويقول ابن خلدون إن قلاوون عند ما غزا النوبة أرسل السفن بالبحر .

ويقول ابن خلدون (ثم انتشر أحياء العرب من جهينة فى بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها أيام الناصر بن قلاوون وماؤوها عيثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم ، لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم ، وليس فى طريقة استيلائهم شىء من السياسة الملوكية للأمة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد) . الى أواخر القرن الثامن الهجرى .

وبقوا كذلك شيعاً على كل شيعة منهم رئيس أو ملك الى أن قام الفنج فى سنار سنة ١٥٠٥ الى الشلال الثالث ثم كان الفتح العثمانى لمصر بيد السلطان سليم سنة ١٥٢٠ فأرسل جيشاً الى النوبة فملكوها من أسوان الى الشلال الثالث وعرفوا (بالغز) وعرف حكامهم (بالكشاف) وهكذا انقسمت بلاد النوبة بين ملوك الفنج والكشاف الى أن كان الفتح المصرى للسودان سنة ١٨٢٠ م أى سنة ١٢٣٦ هـ فخضعت لمصر

وفى عهد محمد على امتدت حدود مصر جنوباً بعد فتحه للسودان وكانت تدخل اسوان فى مديرية اسنا ، ثم أحدث تعديلا بأن ضم مديرية اسنا الى مديرية قنا وصارتا واحدة ، ثم انفصلتا بعد ذلك وامتدت الحدود المصرية الى أعالى النيل أيام خلف محمد على خصوصاً فى عهد اسماعيل . واستمرت مديرية اسنا حتى سنة ١٨٨٧ وكان مركزها اسنا . ولما ازدادت الثورة المهدية فى السودان وكادت تمتد الى الحدود رأت الحكومة تحصين الحدود المصرية بقوة عسكرية وجعلت البلاد هناك تحت الأحكام العسكرية فصدر قرار مجلس الوزراء فى ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٨ بقسم مديرية اسنا الى قسمين : الأول يشمل الجهات التى بين وادى حلفا وجبل السلسلة تتكون منه مديرية تسمى مديرية الحدود ومركزها اسوان . وأما الأقاليم شمالى جبل السلسلة فتضم الى مديرية قنا وعلى ذلك ألغيت مديرية اسنا وتكونت مديرية الحدود من مراكز ادفو وأسوان وكرسكو (الآن الدر وحلفا) وضمت بقية البلاد الى قنا واستمرت مديرية اسوان باسم مديرية الحدود الى أوائل سنة ١٨٩٩ حينما تحددت الحدود بين مصر والسودان ، وذلك أنه لما أعيد اخضاع السودان عمل اتفاق بين مصر وبريطانيا فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بأن يصبح السودان حكومة مصرية انجليزية وأصبح خط عرض ٢٢ شمالا هو الحد الفاصل بين مصر والسودان وبناء على ذلك دخلت عشرة بلاد من قرى مصر العليا فى حكومة السودان وهى : سرة شرق . فرس . جزيرة فرس . دبيرة . شرة عزب . اشكيت . ارقين . أدغيم . عنقش . دبروسة (وتعرف الآن بالتوفيقية) وبعد هذا التغيير أطلق على مديرية الحدود اسم مديرية اسوان ابتداء من سنة ١٨٩٩ ؟

رشوان أحمد صادق

الخـــريف

مهداة الى رفيقى الأستاذ حلمى اللحام

لشاعر الشباب العربى أنور العطار

أَسِيَ القلبُ فاستراحَ إلى الصمْـ ـتِ وللصمتِ عالمٌ مسحورُ
تترامى بهِ الشجونُ فيعيا ليسَ يشكو الضنى وليسَ يثورُ
هيكلٌ متعبٌ تكادُ منَ السقْـ ـمِ تداعى أركانُهُ وتخورُ
موحشٌ كالخريفِ تطفو عليهِ صورٌ جهمةٌ وخطبٌ نكيرُ

* * *

كلُّ شيءٍ أراهُ يذوي ويفنى ثمَّ يمشي على حماهُ الدثورُ
ملعبٌ للحياةِ يطفحُ بالسحْـ ـرِ ويشقى بساحهِ المغرورُ
أينَ زهوُ الرياضِ في متعِ العيـ ـشِ وأينَ الهوى وأينَ السرورُ
رقدتْ في الغيوبِ قمريةُ الدوْ حِ وطاحَ الهزارُ والشحرورُ
فجناحٌ على السفوحِ هشيمٌ وجناحٌ على الوهادِ كسيرُ
وتجافى السنا عنِ الأفقِ الخُضْـ ـرِ وغشّى رفيفهُ الديجورُ
وتولّتْ بشائرُ الأنسِ عنهُ واستفاضَ الأسى وصاحَ النذيرُ
لم تعدْ تكرعُ الندى شفةُ الزهْـ ـرِ ولم تسكرِ النسيمَ العطورُ
وانطوتْ من مباهجِ الروحِ دنيا كلُّها نائلٌ وجودٌ وخيرُ

* * *

همدَ الحقلُ فالعشاشُ خرابٌ هجرتْها على الليالي الطيورُ
فعلى ضاحكِ المروجِ اكتئابٌ وعلى باسمِ الدغالِ فتورُ
وإذا الغيمُ في الفضاءِ ركامٌ وإذا النهرُ مغدرٌ محرورُ
والعصافيرُ نومٌ ليسَ تصحو والفراشاتُ جثّمٌ لا تطيرُ

* * *

وورقٌ مائتٌ تهاوى على السهْـ ـلِ وغنّتْ بهِ الصبا والدبورُ
ملأ الوهدَ والمساربَ والسوْ حَ اغتيامًا بساطُهُ المنشورُ
غمرَ المشعبَ البعيدَ وغطّى الـ ـواديَ السمحَ عصفُهُ المنثورُ
خشخشتْ في الرحابِ أوراقهُ الغبْـ ـرُ وللريحِ بينهنَّ صريرُ
سُفْرةٌ توقظُ النئومَ منَ الشجْـ ـوِ ورمزٌ إلى الزوالِ يشيرُ
تعصفُ الصرصرُ العتيّةُ بالغا بِ فيهوي الدوحُ الأغنُّ الشجيرُ
وتضيعُ الألحانُ في هبّةِ الويْـ ـلِ ويرغو الأذى وتطغى الشرورُ
ليس يقري الأسماعَ إلا عويلٌ وصراخٌ وأنّةٌ وزفيرُ
تمّحي فرحةُ الطبيعةِ في الأرْ ضِ ويُطوى حلمُ الحياةِ النضيرُ
وتُعنّي أرائكُ الحبِّ والعطـ ـرِ ويبلى الروضُ النديُّ الخضيرُ
تطفحُ السحبُ في عنانِ السموا تِ ويخبو منها السراجُ المنيرُ
ويعجُّ الفضاءُ بالزبدِ المنْـ ـدوفِ والأفقُ كالخضمِّ يفورُ
وتغيبُ الأنوارُ إلا شعاعًا يختفي تارةً وأخرى ينورُ
تتعزّى به النفوسُ الوجيعا تُ ويحيا بدفئهِ المقرورُ
أيظلُّ الصرّارُ يرتعُ في الحقـ ـلِ وينأى عن عشّهِ العصفورُ
تلكَ أحجيّةُ الوجودِ تناهى الـ ـفهمُ عنها واستغلقَ التفسيرُ

* * *

يا حبيبي أراكَ من حجبِ الغيـ ـبِ فيزهو الكونُ السليبُ الحسيرُ
ويغوصُ الظلامُ في نهرِ الفجـ ـرِ ويبهى الصبحُ الأنيقُ الطريرُ
يُنشدُ السفحُ والتلالُ تغنّى حيثُ لا مطربٌ ولا مزمورُ
تُمرعُ الأرضُ بالنباتِ وتهتـ ـزُّ منَ الدفءِ والحياةِ الجذورُ
وتذوبُ الأنداءُ في أكؤسِ الزهـ ـرِ ويحيى الثرى الشرابُ الطهورُ
ويطيبُ الهوى ويحلو التساقي ومنَ الحبِّ روضةٌ وغديرُ
أيُّها الهاجري أطلتَ التنائي وتعايا من صدّكَ المهجورُ
سهدتْ مقلتي وناجاكَ قلبي وهفا خاطري وحنَّ الضميرُ
عشتُ من طولِ حسرتي بالتمنّي وقليلٌ منَ التمني الكثيرُ
تتراءى لناظري فأناديـ ـكَ كأني مخبّلٌ ممرورُ
أنتَ ريحانتي وأنتَ أحاديـ ـثي وأنتَ المنى وأنتَ السميرُ
يا نصيري إذا أظلّنيَ الهـ ـمُّ وألوى بيَ الشقاءُ المريرُ
طُفْ بروحي كما تطوفُ الشعاعا تُ ويسري ضياؤها وينيرُ
ودعِ الحبَّ يزدهرْ في خيالي وتهدهدْ بهِ العصورَ العصورُ

* * *

غفلتْ عنّيَ المنونُ فغنّيـ ـتُ ولحنُ الحياةِ لحنٌ قصيرُ
أتعامى عنِ الفناءِ وحولي محنٌ ليسَ تنقضي وثبورُ

أَلَمِى صارِخٌ وجُرحى ضَرِىٌّ   والهوى يائِسٌ وَجَدِّى عثورُ
وَبنفسى قيثـــارةٌ تتشكَّى   وأنا الدمعُ والأسى والشعور
أتسلَّى عنِ الضَّنى بلُحون   هى روحُ الحياةِ والإكسير
الشَّجا المُرُّ فى حِماها شِـفاءٌ   والدُّجى الشاملُ المرَوِّعُ نور
خاطِرى من نشيدِها مستثارٌ   وفمى من سُـلافِها مخمور

* * *

عالَمى مَهْبِطُ الرُّؤَى ومِهادى   ذهبٌ خالصٌ وتبرٌ نثيرُ
وفضـائى مُوَشَّحٌ بالغوادى   وهِضابى نَدًى وجَوِّى مَطير
وسمواتِىَ الفسـيحاتُ تابو   تٌ عليـه من الغيوم سُتُور
أُفُقٌ شاحبٌ تَدَثَّرَ بالسُّحْـ   ـبِ وَأَغْيا فيه الضَّبابُ الغمير
لا السَّنا ضاحكٌ بأبهائه السُّحْـ   ـمِ ولا النورُ فى مَداهُ يمور
فَمِنَ الحُزْنِ وَالجهامَةِ قَبْرٌ   ومن الهمِّ والكآبةِ ســور
وتَعَرَّى المَساءُ من أَلَقِ السِّحْـ   ـرِ فلا رَوْعَـةٌ ولا تَصْوير
التَّعاشيبُ أَعْيُنٌ جامداتٌ   هى من طولِ ما تُحَدِّقُ صُورُ
أطفأَ العاصِفُ المُلِحُّ سَناها   وغزاها الصقيعُ والزمهرير
هاهُنا للجمالِ عُرْسٌ تَقَضَّى   مِلْءُ أعطافِهِ شَـذًا وعبير
هاهنا غَنَّتِ الينابيعُ سَكْرَى   ومن السَّلْسَلِ النقىِّ الخمور
هاهنا كانَ للجداولِ ألحا   نٌ لِطافٌ وللنسيم سَرير
هاهنا حَنَّتِ العَشِيّاتُ للضَّحْـ   ـكِ وَبَشَّ الضُّحى وهَشَّ البكور
لا الرَّوابى تفيضُ بالعَبَقِ الطَّا   هِرِ ولا يُطْرِبُ الحقولَ الخرير
هَدَأَتْ من جَوَى الغرام قلوبٌ   واستراحت من الهَديل ثغور
وَحْشَةٌ ما تكادُ تحملها النفْـ   ـسُ وشَجْوٌ تضيقُ عنه الصدور
المَرادُ المُزَوَّقُ الحُلْمِ داجٍ   وَحِمَى الأنس مُجْفِلٌ مَـذْعور
أين وادٍ رَفَّتْ عليه البشاشا   تُ وَرَنَّتْ أعشاشُـه والوكور
ماجَ فيهِ الهَوى فعاشتْ حوافيـ   ـه وضجَّتْ من الحياةِ الصخور

* * *

أَيْنَ لا أَيْنَ عالمٌ مستطابٌ   عاثَ فيه رَكْبُ الفناءِ المغير
فامَّحَى كالظِّلالِ تنتهبُ الأرْ   ضَ وَيخفى أنطواؤها والمصير

أنور العطار

بين ماض وحاضر

أنشودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عهـــدى بالعيش على رَغَد   عذباً كالمـاء حساه صَدِى
نغم والدهر يُوَقِّعُه   يسرى كالنشوة فى الجسد
ياليت الدهر كمن يشـدو   بأغانٍ إنْ يُطْرِبْ يَزِدِ
إن قلتُ أعد نُعْمَى عادت   كترنم ذى النغم الفرِد
حسنات كنت بها ثملاً   ذهبت فى الدهر فلم تَعُدِ
آمال كنت بها شـغفاً   نظر الولهان إلى الخُرُد
أحـــلام كنت بها جَذِلاً   قد شـــح النوم ولم تَجُد
وشـباب ذقت به خلداً   فى طرفة عين من أبد
لو دام دوام الخلد لمـا   نقع الظمآنَ من الصَّفَدِ
لو عاد بذات له ذخرى   من مُطَّرَفٍ أو مُتَّلَدِ
بشعاع منـــه أعيش مدى   دِفْءٌ للشمس على بُعُـدِ
آب التذكارُ له شـــبحاً   أو قبراً شِـيدَ لِمُفْتَقَد
ما خَلَّفَ لى دهرٌ ثقـة   بمآلٍ فيه أو أحـــد
يا نبع المـاضى لو عاد الـ   ـوُرَّادُ اليـك على جَدد
لرجعت اليـك رجوع صَدٍ   لم ينهل قبـــل ولم يَرِد
وغدًا ماذا يادهر ترى   قد قُدِّرَ لى بضمير غد

عبد الرحمن شكرى

صورة...

(من صور دمشق فى هذه الأيام)

بقلم السيد أحمد عبيد

ما أَرْوَعَ القَوْمَ إذْ ضَنُّوا بعزَّتِهِمْ   فسالَتِ الشامُ فِتْياناً وَوِلْدانا
تدفَّقوا كأَتِىِّ السيلِ مُقْتَحِماً   لظَى جحيمٍ تُذِيقُ الموتَ ألوانا
فلا الأَتِىُّ بمُخْبٍ من توقُّدِها   ولا الجحيمُ تَصُدُّ السيلَ إن دانى
إذا الْتَقَوْا والعِدَى فى وَقْعـةٍ فهُما الـ   ـبُرْكانُ يقذِفُ «نِيراناً» و «صوّانا»

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٣١ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

تعليق المؤلف (١) على فلسفة نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

يتمتع نيتشه بما لا يتمتع به فيلسوف آخر ، لأن تفكيره قد تناوله بالبحث أرباب الفلسفة وغير أربابها . وقد طغت «النيتشية» فى الأعوام الأخيرة أى طغيان ، فأما المعجبون به فهم يرون فيه المفكر الفرد الصارم العميق فى جرمانيا الحديثة ، له منزلة « دارون » فى الأخلاق . وأما خصماؤه فهم لا يرون فيه إلا ولداً مريضاً ، له خطره ومبدؤه الفاسد . وبينهما يقف الشعب حائراً ، تراه من ناحية معجباً بآثار هذا الجبار ومظاهر تفكيره الغريب ، ومحترسا من ناحية ثانية من مفكر ناقم على الأخلاق والتقاليد ؛ والآن سنعمل على تبيان الأسس الرئيسية التى ترتكز عليها فلسفة نيتشه ، والأهمية التى تنشأ عنها

هدم النقاد فلسفة نيتشه من وجهتين : فى الوجهة الأولى أبدوا أخطاءها العملية . وفى الوجهة الثانية بينوا خطرها على الأخلاق

إن نيتشه فى الطور الثانى من حياته لم يكن يكتسب شيئاً ولم يكن فى استطاعته أن يكون عالماً ؛ ولقد علمت رداءة صحته التى تحول بينه وبين مواصلة جهوده فى البحث . فهو قد بدأ حياته العلمية بدراسة اللغات ، ثم لم يلبث أن غادر هذا الميدان إلى غيره ؛ وهو لم يكن فى سائر العلوم إلا هاوياً ، لا يسعى وراء ترقية هذا الفرع وذلك الفرع فى العلوم ، ولـكنه يريد من وراء ذلك أن يبدع مسائل جديدة ، أو يكسو المسائل القديمة ثياباً جديدة ! فهو لا يؤثر فى العلم نفسه ولـكن فى روح العالم . فان اشتقاقاته التى استنبطها فى دراساته للغات القديمة لم تكن لتلائم الحقيقة ، ولـكن ذلك لم يكن ليحفل به ، فهو يبنى أن يظهر طرق درس المسائل الاجتماعية بواسطة الدراسة اللغوية ، فالقيمة الجوهرية لملحوظاته الخاصة هى شيء ثانوى عنده ، سواء عنده حياتها ومماتها ، فهو يكفيه فضلا أن ينفخ فى نفوس هؤلاء الدارسين روحا جديدة ويفتح لهم آفاقا جديدة . ولذلك نراه فى آخر أدواره جد قلق ، يسعى بواسطة الدراسات اللغوية إلى أن يستكشف الحياة الاجتماعية ، وحضارة ما قبل التاريخ مستعيناً بدرسه ومقارنته بين اللغات

وإذا شئنا أن نوضح بعض خطيئات نيتشه فلا ننس أن آثاره كلها « ذاتية » Subjective والحقيقة — غير الذاتية — يراها نيتشه ضرباً من ضروب العاطفة الدينية ؛ وإننا لنطالب إلى العالم ألا يحترم إلا الحقيقة ، وأن يكون فى بحثه عنها خالياً من الأهواء متجردا عن شخصيته – على قدر الامكان – وإننا لنعلم أن التجرد عن الذاتية فى البحث عن الحقيقة هو خديعة ، ونعتقد أن ليس فى مقدور أحد أن يتجرد عن شخصيته وينظر إلى الأشياء نظرة خالصة لا تجتلى إلا الأشياء ؛ وبهذا ليست كل حقيقة ذاتية قبل كل شيء ؛ وجوهر الموضوع – فى البحث العلمى – لا يقف عند ما اعترفه الكاتب من حقيقة ، ولـكنه يقف على مقدار ما أودع فى هذه الحقيقة من ذاته . ونحن على رغم هذا أراانا نؤمن بالحقيقة المجردة ، الحقيقة البارزة بحقيقتها خارج ادراكنا وحواسنا ، وأراانا نؤمن بالمؤلف ونزيد احترامنا له كلما دنت أفكاره مما ندعوه « الحقيقة المتجردة عن الذاتية »

لنا الحرية فى أن نزن آثار نيتشه بهذا الميزان ، ولـكن نيتشه كان قبل كل شيء يفتش عن نفسه ويسعى وراء معرفة نفسه ؛ ولقد كان اهتمامه ضعيفاً فى الاطلاع على الأشياء بحقائقها ، وإنما وقف اهتمامه كله وجهوده على ما يمثل شخصيته ، فخلق من الأشياء خرافات كاذبة ، وقد علم أنه إنما وصف نفسه حين كتب عن « شوبنهاور وفاجنير » أنه حول الحقيقة إلى خرافات جذابة غريبة ، ولأن تكون مظاهر لشخصية نيتشه أجمل وأحرى من أن تكون مظاهر تمثل حقيقة الوجود الخارجى ، وبهذا يصبح عبثاً سعينا وراء الحقائق التى عالجها نيتشه والعمل على التوفيق بينها وبين الواقع

وهنالك تأثير معاصر به فيه — سواء أحس هو هذا التأثير أم لم يحسه — وفكرته التى جاء بها — إذا جردت من أثوابه الخاصة — تبدو فكرة قديمة ليست بابنة ذاته . فكل الآراء التى عالجها ، من قوله بالذاتية وعبادة النفس والثورة على قانون

(١) هو الأستاذ « هنرى ليشتنبرجر » وقد أشرنا اليه فى بدء المقالات

المساواة وعبادة الانسانية قد سبقه الى معالجتها أحد معاصريه [1] كما سبق « فلوبير » و « رنان » إلى الكتابة عن المذهب الارستقراطي . وقد وجد نيتشه في الكاتب «أوجين دوهرنك» عضداً له في محاربة التشاؤم . واتحد مع « هارتمان » في النفور من الاجتماعيين والفوضويين ، واتفق معه في القول باستحالة المساواة بين الناس ، فقالا بفضيلة الحرب المدنية ، واتفقا على جعل الشفقة مادة غير صالحة للفضيلة . وكذلك نرى مذهب الرجمة الدائمة يتجلى في كتاب « لبلانكي » ! وفي كتاب الدكتور « لوبون : الرجل والمجتمعات » . ولكننا — وان قارنا بين نيتشه وبين هؤلاء المعاصرين — فان هنالك تبايناً شاسعاً مهما كانت الأفكار متقاربة متآلفة . وعلة هذا التباين شخصية نيتشه . ولقد نراه في بعض خطرات يتحامل على هؤلاء الأحلاف ، فمقت من « ريتان » روحه الكاهنة ، ونمت « هارتمان » بالمشعوذ . وليس نفوره هذا وليد حقد أو حسد ، وإنما هو وليد طبيعة تختلف جد الاختلاف عن طبائع خصومه . هذه الطبيعة التي تؤمن بأن الشخصية في الفيلسوف هي أكبر قيمة وأجل خطراً من آثار الفيلسوف

على أن هذا لا ينبغي أن يدفعنا الى انكار فضيلة كل حقيقة غير ذاتية اكراماً لقوة الشخصية عند نيتشه ، وإذ ذاك يعم الجور والخطأ في الحكم . وانني لمعتقد بأن المؤرخ والفيلسوف يستطيعان أن يجدا عند نيتشه حقائق جميلة بذاتها . وهنالك آراؤه في « فاجنير » يراها المؤرخ جديرة بالاعتبار لأنها تبدي قيمة الفنان العظيم . وهنالك آراء لنيتشه يجدر بها أن تكون محل مناقشة ومجادلة ، على أنني أقول إن عبقرية نيتشه لا تستقر إلا في « الذاتية »

***

والآن أراني أستشهد بكلمة « لبراندس » قالها في موضع التحدث عن فيلسوفنا حينما قارن بينه وبين خصومه فلاسفة الانجليز . « قال : وحين نقبل عليه . . . (نيتشه) بعد مغادرتنا لفلاسفة الانجليز نرى عالماً جديداً حولنا . فالانجليز هم عقول متشابهة في الصبر والجلد ، غرضهم أن يتقنوا الشيء جزءاً جزءاً ثم يجمعوا هذه الأجزاء الصغيرة المتفرقة ليؤلفوا منها شريعة وقانوناً ؛ يعملون غير متأثرين بذاتهم ؛ وقيمة فلسفتهم تتوقف على ما يعملون لا على ما ترق إليه ذاتهم ؛ أما نيتشه فهو على نقيض هذا المذهب ، هو مثل شوبنهاور متنبئ فنان ، تستهويك شخصيته قبل أن تستهويك آثاره . » وإذا شئنا إبداء قيمة آثاره فليس لنا أن نتلوها تلاوة كتاب علمي لا تتوقف روعته على روح صاحبه . نتلوها لنرى الروعة فيما بث هذا الرجل من معارف قديمة بسطها وجد بدة وضعها

يرى نيتشه في معرض كلامه عن شوبنهاور « ان مذهب المفكر لا شأن له ، فكل فيلسوف ممكن انخداعه . إن ذلك الشيء الذي هو أجل من مذهبه — هو نفسه — في كل فيلسوف شيء لا نجده في فلسفته . علة كل الفلسفات والمذاهب هي الانسان ، الانسان العظيم

(التتمة في العدد القادم) خليل هنداوي

وزارة المعارف العمومية

اعلان

تسليم شهادات كفاءة التعليم الأولى للمعلمين وإتمام الدراسة بالمعلمات الراقية وقسم الفنون الطرزية بمعلمات شبرا

نظراً لأن شهادات كفاءة التعليم الأولى للمعلمين وإتمام الدراسة بمدرسة المعلمات الأولية الراقية بشبرا وقسم الفنون الطرزية الملحق بمعلمات شبرا الأولية لسنة ١٩٣٥ قد تم تحريرها وأرسلت للجهات المختصة لتوزيعها على أصحابها ، فوزارة المعارف تعلن جميع الطلبة والطالبات الناجحين في الشهادات المذكورة في الدورين بوجوب تسلم شهاداتهم ابتداء من يوم السبت ١٥ الجاري

أما جهات وطريقة تسلم هذه الشهادات فقد توضحت في كشوف التوزيع التي أودعت نسخة منها للاطلاع في كل مدرسة من مدارس المعلمين والمعلمات الأولية والراقية بشبرا

(1) ماكس : في كتابه الواحد المجرد وصفاته

القصص

مأساة من اسخيلوس

٣ ـ أجاممنـــــون

للأستاذ دريني خشبه

تتمـــــة

— « باريس ! لقد خرّبت زيجة بيتك ... أجل ... أنت وأختك ... أوه يانهرسكمندر[1] المصطخب ! لقدجرع أبي منك جرعة ، وعلى ضفافك شببت وترعرعت ، فيا لشقوتي ! أما الآن ... فان نبوءاتي تتواثب على شطئان كوكيتوس وأشيرون[2] ... »

— « أوضحي بحق أربابك عليك أيتها الفتاة ! إن آلامك تثب في صدري فتخز أشواكها حبة قلبي ... »

— « طروادة !! أهكذا سقطت إلى الأبد !! أهكذا تندلع النيران في أبراجك الشواهق ! أهكذا ينبطح أبي الملك الشيخ مضرجاً بدمه ؟ ... ويلاه ... بعد لحظات أغرق في لجة من دمي مثلك يا أبي ... »

— « عود إلى النغمة الملغوزة السالفــة !! ما أحسب إلا أن آلـهاً قاسيا يرديك بعنف في هذه الحمأة المسنونة !! »

— « نغمة ملغوزة !! لا ! لن ألغز يارفاق ! سأجلو لـكم السر الهائل الذي خبأته الجريمة السنين الطوال في هذا القصر ! هنا ! تآمر الآثمون في الظلام ... وكان الظمأ إلى الدم يشـد عزائمهم جميعاً ! كانوا يدلفون الى كهفهم فيتغنون آلامهم ويستنزلون اللعنة على ... خصمهم ... وهو منهم ، وهم مع ذلك منه ... أخوهم ... وهم إخوته وأقاربه ... قتلوه ... قتلوه وهو مستسلم للـكرى الهادئ ... أليس كذلك ياسادة ؟ أهذه ثرثرة ، أم أنا أهذي ؟ ... »

— « بل أنت قد صورت ما حدث منـذ أعوام وأعوام كأنك ترين اليه الآن ... »

— « هذا من فضل أبوللو علي ! لقد أمدني بروح من عنده »

— « ولم ؟ هل شغفه حبك مرة ؟ »

— « ... ؟ ... ... ؟ ... لا أقدر أن أقول ؟ ... »[1]

— « ما كان ضرك لو تلطفت معه ... ... ! »

— « إيه ... كم كان رقيقاً حينما كان يصارع فؤادي ؟ »

— « وهل في وسعك أن تضعي حداً لمغامراته ؟ »

— « لقد وعدته ... ولـكنه خان ميثاق ! ... أواه ! وا أسفاه ! تعالى ! لقد ثارت الزوبعة من جديد ! لا أطيق أن أكتم الحقيقة ! انظروا يارفاق ! أول الشجو ! ما هذه السهادير التي تغشي سماءكم ؟ يا لأفلاذ الأكباد ! يا للصغار ! إنهم يذبحون بنفس الأيدي التي كان أجدر لو ترفقت بهم وحنت عليهم ! ... يا للهول ! ... أبوهم يمد يده البريئة فيأكل شرائح مشوية من أكبادهم وضلوعهم ! ... إن لهذا قد دبر انتقام دموي هائل ... وها هوذا الأسد ! الأسد الجبان النذل ، الذي تقلب في سرير صاحب الجلالة — بحر اللذة والدنس ! ... إذ صاحبه نازح يغزو ! ... لا ضير أن يكون أحد أسيرا مرة ، ولـكن هذا الفاتح العظيم ! غازي طروادة ! سيد الأسطول اللجب ! إنه لا يدري السر الهائل الذي تقبره زوجته ... السفاحة ... التي تتحوى كالأفعى ، وتهسهس في الظلام المنتشر حول نفسها ، وتوسوس إلى شر كأنها بأفسق الجرائم ... لقد فاقت في الخب كل مثل فما أدري بم أشبهها ؟ آه ! إنها أشنع من سكيلا (هذه الهولة الرائعة ، ذات الرؤوس الستة التي تنفث السم ، وتغتال رواد البحار ! ...) الآن ! الآن ينفذ سهم القضاء عن قوس غدرها ... والآن ! ستعترفون أنني ما ألغزت ، وما قلت غير الحق ! ...

(١) النهر القريب من طروادة والذي كاد يغرق فيــه أخيل كما مر بك في الألياذة (٢) نهران من أنهر الجحيم

(١) أحب أبوللو كاسندرا كما مر بك في حروب طروادة ووهب لها قوة إدراك الغيب ، فلما بخلت عليه وصدت عنه كتب عليها أن يستهزئ مستمعوها ولا يصدقونها

— « الحق كل الحق يا فتاة ... لقد رويت ما كان من وليمة ذيسيس ، وما تم فيها من نهشه لحم أطفاله وهو لا يدري ... يا للهول ... ما نزال نقشعر كلما روعنا رجع تلك الذكريات ... »

— « إذن سيموت مولاكم أجاممنون ... وسترون بأعينكم ! »

— « يا شقية ! لا تهرفي بهذا الهراء ! »

— « ولن أدعو أرباب الخلاص هذه المرة ! »

— « وهل خلاص من الموت ؟ ولكن عسى ألا يكون قريباً ! »

— « أنتم ترجون ، بينا غيركم يذبحون ... أو يكادون ! »

— « وأيما إنسان يا ترى يضطلع بهذا النكر ؟ »

— « أيما إنسان ! إن السهم المراش يطوي ما بين المشرقين ؟ »

— « أجل ، ونحن لا نستطيع أن نحدس من يجرؤ على هذه الفعلة ! »

— « أنا أقولها ؛ وحسبي أنني استطعت أن أكلمكم بلسانكم الهيلاني كواحدة منكم ! »

— « وهكذا استطاعت البيثونة [1] من قبل ... ! وكان كلامها ملغوزاً دائماً كذلك ! »

— « يا للشجى ! يا للجمر المتقد ! إنها تقدم ! الغوث يا أبوللو ! يالي من تاعسة ! هذه اللبؤة الآدمية ! إنها تضطجع مع الذئب بينا أسدها الهصور نازح عن الديار ... وأنا ! أنا التاعسة قد جئت لأضاعف أحقادها عليه ؟ جئت لأجعل السكين مسنوناً أكثر ! ها هي ذي تحدث ذئبها أني أنا أيضاً ينبغي أن أذبح جزاءً لي ! ... فيم إذن أبقي على مسوحي وعصاي ! عصاي السحرية ! لأمزق المسوح ولأحطم العصا ! (وتمزق وتحطم) إذهبا إلى الفناء فإني لاحقة بكما ! كونا قائدي إليه ! سأتبعكما ، أتنعما حياة ثانية غير حياتي ! ... انظروا انظروا ! إن أبوللو ينزع عني المسوح بيديه ! آه ! أقبلت لترعاني في هذه الأجمة الوبيئة ! لتسر قلبك بإهانتي ووخزاتي ! بسخرية أهلي من قبل ، ولعنات أعدائي ولعنات وطني اليوم ! إنهم يزعمونني قديسة شحاذة ! أو كاهنة أفاقية ! يا للهول ؟ ماذا خبأت لي أيها القدر ؟ وي ! الوضم [2] ! السكين المشحوذ ! الضربة اللازبة التي تتم بها التضحية ! ... ياسماء ! إن الذي يأخذ بثأر الأبرياء ما يزال حياً [1] ! ... ويحك يا قاتل أمه أين أنت ؟ خذ بثأر أبيك أيها الجائل في الآفاق ! ... وي ! فيم بكائي ، وها هو قاهر طروادة وقاتل بريام يلقى جزاءه وفاقاً ! مرحباً ياموت ! أنا لا أهاب الردى !

— ولكن ! ... الصلاة ! ... الصلاة يا أربابي ! أضرع إليكم أن يكون جرحي بالغاً مميتاً فلا يعذبني طويلاً ! لتتدفق منه حياتي فلا يعترضها شيء ... »

أيتها الفتاة التي تطمها الهواجس ، حسبك ، فقد بلغت المدى ! وللآلهة أنت ! كيف تتقدمين إلى حتفك بقدم ثابتة ، ونفس رابطة ، وأنت تعلمين من الغيب كل شيء ؟ لم لا تفرين ؟ »

— « وأين نفر من المنايا وقد جاء أجلنا ؟ »

— « كيف ! إن لكل مهلة قيمتها ! »

— « حم القضاء ، قلت لكم يا رفاق ! أية مهلة إذن ؟ إن الهرب لا يجدي فتيلا ! »

— « إيه ! رب قتلة شريفة تختم حياة مليئة ! »

— « ويلي عليك يا أبي . . . وعلى أبنائك التاعسين ! »

(وتتقدم الى باب القصر . . ثم تقف مذعورة)

— « ماذا يفزعك يا فتاة ! ؟

— « ويلاه !

— « ماذا ؟

— « تلك الغرف السود تضج بزفير الجريمة ! القتلى يسبحون في لجة من الدم ! »

— « إنها دماء القرابين فلا تفزعي ولا تراعي !

— « بيت كأنه قبر ! لولا هذه الدماء . . . ! ولولا ذاك الصلول [2] »

— « تزودي من الصلول فقد ورمت أنوفكم من عطور الشام وطيوبه ! »

— « لأدخل إذن . . . ولأرو بالدمع حظي العاثر ، وحظ الملك التاعس . . . أجاممنون ! سئمت تكاليف الحياة يا رفاق ! لابد أن تقتل امرأة بامرأة ، ورجل برجل . . . وتلك أخرى نبوءاتي . . . سيقتص لي ، ، ولكل مقتول بريء ! . . . »

(وتنطلق داخل القصر)

— ٢٠ —

ويقف الخورس مشدوهين لما ألم بهذه الفتاة ، ويتحدث

(١) أفعى عظيمة قيل إنها خلقت من وحل الطوفان الذي نشأ عن غضب زيوس في حربه ضد التيتان — وقد قتلها أبوللو
(٢) خشبة الجزار

(١) تقصد أورست بن كليتمنسترا الذي يأتي ليثأر من أمه لأبيه
(٢) النتن

بعضهم الى بعض عما حشدت فى حديثها من ألغاز ، وبثت من طلاسم وأسرار ... وتقطع حديثهم صرخة داوية داخل القصر ! ...

— « آه ! أهكذا أذبح فى قصرى ! ؟ »

وتزداد دهشة الخورس ، وتزداد ثقتهم بنبوءات كاسندرا ... فالصوت صوت أجاممنون لا غيره ! ... ويهمون أن يدخلوا ... ولكنهم يتريثون ... ويعود الملك الى صراخه :

— (آه . آه ! أهكذا وبهذه اليد أضرب حتى أموت ! ؟

ويعود الخورس إلى لغطهم فبعضهم يشير بالدخول ليكونوا شهداء مقتل الملك — ويتقاعس بعضهم كأن الأمر لا يهمه ... ... ثم يشير رئيسهم أن يتريثوا حتى تنكشف جلية الأمر . . .

وإنهم ليهمون أن يقتربوا من باب القصر حتى تنفضح الملكة بينما هى تلف جثمان القتيل فى الوشى الذى أعد لاستقبال الملك الظافر ... قاهر طروادة !

ولا تستحى أن تمترف بما اقترفت ، بل تصرح أنها دبرت الأمر وأخذت له أهبته ، وأنها فرحة به مسرورة له ...

— « يا للجرأة أيتها الملكة الآثمة ! ... »

— « آثمة أو غير آثمة ... تمدحون أو تقذعون ... سواء لدى ! إنها جثة مليككم أجاممنون ، هذه الجثة المدرجة فى لفائفها أمامكم ... وأنا مزهوة بأن قتلته ... ! »

— « أيتها المرأة ! أى سوء اختلط بدمك ، وإثم خامر قلبك ، فنقتلين رجلك وأمير المملكة ... أبشرى بلعنة الجماهير وغضب الآلهة ! ... اليوم يفلت من يديك زمام الأمور ... »

— « لعنة الجماهير ، وغضب المملكة ... وزمام الأمور ! مضحك ! سرعان ما تحكمون على ما لا تعلمون ! وأين كنتم يا سادة ؟ وأين كانت جماهيركم وآلهتكم يوم ذبح أجاممنون الوحش طفلته ؟ ... أين كنتم يوم أهوى على عنقها بالسكين كما يهوى على رقبة شاه ! إفجينا ! ابنتى ! قطعة قلبى وكبدى ! ؟ ذبحها أبوها الوحش ! لماذا ؟ لتهدأ العاصفة ، وتسير السفين باسم الشر مجراها ومرساها ! ! ماذا تقولون إذن ؟ وأين كنتم يا سادة ؟ ولم يفلت من يديه زمام أموركم يومئذ ؟ لم لم يقص عن عرشكم ، وتنزل عليه لعناتكم ، ويحل عليه غضب آلهتكم ؟ آه ! ولكنكم تخلطون المين بالحق ... ودأبكم أن تسارعوا إلى الحكم دون روية ولا تبصرة ! »

— « حماسة وقحة وتبجح أثيم ! ويل لك حين تؤدين الدين من دمك ، إذن تفيقى ! »

— « أقسم بأيتيه وإيرينيس ، آلهة القوة والمجد ! »

— « تقسمين على فسقك وغرامك الدنىء الدنس ؟ ... »

— « أجل ! على غرامى وحبى ... حبى لهذا البطل المظلوم إيجستوس الذى دبر لى كل شىء وأعانني على كل شىء ... وشاركنى فى هذا الدم ! أنا لأن مليككم قتل ابنتى ، وذهب إلى طراودة ليغازل خريسيز ويرشف الرضاب الحلو من فم بريسيز ، ثم يعود ظافراً وفى ركابه هذه القينة الفاجرة التى جلست بجانبه تسكره بخمر حديثها ... ... وهو ، وإيجستوس (لأن له إخوة ذبحوا وأكل أبوهم من لحومهم وشرائح من أكبادهم ... ثم قتل بعد ذلك ! ... ومن قتله ؟ أخوه ؟ ... يا للهول ! ... هو الذى ذبح الأطفال الأبرياء ! وأطعم أخاه لحومهم وقلوبهم ... !) »

— « المرأة ! دائماً المرأة ! يا أخت هيلين ! ! كم أرواح مطهرة فاضت لأن أختك أثمت ، وتردت فى حمأة الفسق ! الفاجرة التى فرت مع عاشقها من خدر زوجها ! ثم أنت ؟ أنت أختها ؟ ومن البذرة السيئة نبتت مثلها ! ؟ »

— « عليكم أنفسكم مالكم ولهيلين ! »

— « ... آه أيها الغراب الناعب ! رنق على جثة زوجك ، وانعق ... هات أغنيتك المنكرة ، ورتلى أنشودة جريمتك فى جناز رجلك ! ... »

— « حاشاى أن أكون صنعت ما صنعت وأنا بعد زوجته أو هو بعد رجلى ! بل صنع هـذا وليمة أتريوس ! أتريوس أبو أجاممنون ! الوحش الذى أطعم أخاه لحم أبنائه ! هو الذى ترك لابنه الملك هذا الارث العظيم ... قتل ... فليقتل ! وليقتل من بعده أبناؤه (1) ... فيا للقصاص ! ؟ »

— ٢١ —

وتستطيع الملكة بذلاقتها وقوة برهانها أن تخدع الخورس وأن تقنعهم — إلا قليلاً ! فقد قتل الملك ابنته حين قيل له إن السماء تطالب دماً ، وهذا منتهى الظلم ، وقد قتل أبوه أبناء أخيه وأطعمه لحومهم ... وهو بذلك ورث أبناءه العذاب ... والقتل ... والدم ... !

وما يكاد الخورس تهدأ ثورتهم ... حتى يحضر إيجستوس حبيب الملكة ... وشريكها ... ومدبر الأمر معها ... والذى ذبحت إخوته وأطعمت لحومهم أباه المسكين ! ... يحضر والبشر

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(1) وهذا هو محور مآسى اسخيلوس (قد يجر الوزر وبالا عظيما على الشخص وعلى أحفاده وأحفاد أحفاده)

البريد الأدبي

وفاة الأستاذ الشيخ محمد زيد بك

استأثرت رحمة الله بالأستاذ العلامة المغفور له الشيخ محمد زيد الابياني، فرزئت بفقده الشريعة الاسلامية التي كان علماً من أعلامها، ورزئ العلم الغزير، والافتاء الصائب، والخلق الكريم، والتواضع الجم. كان الفقيد من أبناء مديرية الغربية، وتلقى دراسته بدار العلوم، وعين منذ تخرجه فيها لتدريس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق؛ ومازال زهاء أربعين عاماً يتبوأ منصة التدريس في هذا المعهد الجليل، متوفرا في نفس الوقت على دراسة الاصول والمسائل الشرعية حتى غدا بحق مرجعها الفذ وحجتها الثقة؛ وكانت الشريعة الاسلامية إلى هذا المعهد تدرس بأساليب عتيقة مضنية، قلما تعاون على خلق العقلية الفقهية الصحيحة، فاستطاع الفقيد بذكائه ومثابرته وعقليته الفقهية المستنيرة أن يختط لتدريسها منهجاً بديعاً قريب المأخذ جم الفوائد؛ ووضع لهذه الغاية عدة مؤلفات قيمة، تشهد له بغزارة المادة وبراعة الاستقراء والعرض هي: شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية، شرح المعاملات الشرعية، مباحث المرافعات الشرعية، مباحث الوقف. وما زالت هذه الآثار التي تضارع في وضوحها ودقتها وحسن تنظيمها أقوم الشروح القانونية الأوربية، مرجعاً نفيساً لطلاب الحقوق والأزهر، ونبراساً قيما لرجال القضاء والمحامين

ولا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم له ما للعلامة الراحل من فضل وأثر سابغين في بعث النهضة الفقهية الحديثة، وتكوين العقلية الشرعية المعاصرة، بل لا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم تخرج على يده مثل تلك الجمهرة الحافلة الممتازة التي تخرجت على يد الشيخ زيد. وقلما تجد بين عظماء مصر وبين زعمائها وساستها ومفكريها وكتابها — وجلهم من خريجي الحقوق — من لم يدرس على الشيخ، وليس بين أعلام القضاء وأعلام المحاماة المعاصرين، بل ليس بين رجال القانون والقضاء المصريين جميعاً من لم يتلق عنه ويتخرج على يديه؛ فهؤلاء جميعاً عرفوا الشيخ أحداثاً وفتياناً، ونهلوا من غزير مورده، واستطاعوا جميعاً أن يقدروا مواهبه ورفيع خلاله

وكان الفقيد يتمتع فوق علمه الغزير، بأخلاق طاهرة وشمائل باهرة؛ فقد كان جم التواضع والأدب، كثير الحلم والرفق، سباقا إلى الخير، يعامل طلابه معاملة الأب البار، ويتمتع بحبهم وتقديرهم جميعاً

طيب الله ثراه، وشمله بواسع رحمته، وعوض عنه الأسرة القضائية خير العوض

«ع»

كتاب عن ابراهيم باشا

صدر أخيرا كتاب بالانكليزية عن ابراهيم باشا المصري (ابن محمد علي) عنوانه «ترجمة جديدة لابراهيم باشا A new Life of Ibrahim Pasha» بقلم الأستاذ ب. كرابتيس الامريكي الذي ظل منذ أعوام طويلة قاضيا بالمحاكم المختلطة بمصر؛ والأستاذ كرابتيس يعنى أثناء إقامته الطويلة بمصر بالشؤون والمسائل المصرية الفقهية والتاريخية والاجتماعية ويكتب عنها في مختلف

يقطر في وجهه ... وللنصر المؤزر سورة في قلبه ... فما يكاد يذكر الماضي المؤلم الذي حل بلاؤه باخوته، وهذه الخاتمة التي حات بابن أتريوس المسكين (أجاممنون) حتى يثور ثائر الخورس، ويهتف رئيسهم:

— «أ كان هذا النذل يتقلب في أحضانك أيتها الملكة على فراش الملك؟ ... أكنتما في نشوة الفسق، وسكرة الغرام، ترسمان للملك هذه القتلة المدبرة؟»

ويهم إيجستوس أن يفتك بالخورس وبرئيسهم قبلهم، لولا تدخل الملكة، وأنها ترجو أن تضع حدا للمجزرة!...

فيتوعدهم إيجستوس حين يصبح الأمر له، وحين يحمل رأسه المجرم عرش آرجوس ... ... ولكن ... هيهات!

دريني خشبة

المجلات الأجنبية ؛ وقد تزود فى وضع مؤلفه الجديد عن ابراهيم باشا بطائفة هامة من الوثائق والمراجع الرسمية وغير الرسمية التى تحتفظ بها سراى عابدين ، واستطاع أن يجمع أشتاتاً قيمة أخرى من المعلومات والوقائع المجهولة عن تاريخ ذلك العهد وعن حياة القائد الكبير

وقد كانت حياة ابراهيم دائماً تعتبر فى المرتبة الثانية إزاء حياة والده العظيم ؛ ذلك أن شخصية محمد على وجهوده السياسية والاصلاحية الجبارة كانت تلقى حجاباً على جهود ولده ابراهيم ، ولم يكن ابراهيم فى نظر التاريخ سوى ساعد والده الأيمن وقائد جيشه ؛ ولم يكن له ضلع فى السياسة أو الشؤون العامة ، ولكن الأستاذ كرابتيس يحاول أن ينفى هذا التصوير ؛ فقد كان ابراهيم فى نظره سياسياً عظيماً كما كان قائداً عظيماً ؛ وكان له فى السياسة والشؤون العامة أثر فعال ؛ بيد أنه لم يكن يتفق دائماً فى الفكرة مع أبيه ، فقد كان يرى مثلا أن فوزه بتحطيم الوهابية فى الحجاز خطوة أولى فى سبيل تحقيق حلمه العظام بانشاء امبراطورية عربية إسلامية ، ولكن محمد على كان دائماً يجانب هذه الفكرة مؤثراً مصانعة السلطان والتفاهم مع الدولة العلية

ويستعرض المؤلف حياة ابراهيم العسكرية ، وحملاته وغزواته المختلفة بدقة وإفاضة ، ويقول لنا إن أطماع محمد على لبثت فى سبيل التحقيق والنجاح ما بقيت محصورة فى بلاد العرب ، ولكنها مذ بدأت تتجه نحو الشمال ، أخذ الحظ يجانبه والمصاعب تتفاقم فى وجهه ؛ وقد كان اشتراك مصر فى حوادث اليونان ظرفاً مشئوماً جنت منه مصر شر العواقب . بيد أن محمد على لم تفتر همته وأطماعه ، حين حطم أسطوله فى نافارين ، فأنشأ دار صناعة جديدة بالاسكندرية ؛ وكان ذلك الرجل البعيد النظر يعلق دائماً أهمية كبيرة على قوة مصر البحرية

ويقول لنا الأستاذ كرابتيس إن الزمن لم يفسح مجالا لابراهيم ليثبت عبقريته السياسية بصورة فعالة ، ولكن الموت عاجله ، ولما يمض على صدور الفرمان بتعيينه والياً لمصر سوى ستة أسابيع ؛ وقد توفى فى التاسعة والخمسين من عمره ، بعد أن عانى تباريح الآلام والمرض ردحاً من الدهر

الحياة الأخرى

ما زالت مسائل الروح والحياة الأخرى تثير على كر العصور طلعة الانسان وروعه ؛ وقد اشتركت أديان الأرض جميعاً ؛ والديانات فى كل قطر وعصر ، فى التحدث عن الحياة الأخرى ، ولكن التفكير الانسانى لم يهتد حتى اليوم إلى نتائج حاسمة فى هذا الموضوع الخفى ، وما زال فى كل عصر يحوم حوله بمختلف الفروض والنظريات . وقد صدر أخيراً كتاب بالفرنسية فى هذا الموضوع عنوانه : « الحياة بعد الموت فى معتقدات الانسانية » بقلم كاتب أمريكى هو جيمس تاير أديسون ، وقد اتبع المؤلف فى كتابه الأسلوب العلمى ، ولكنه يعرض لنا من جهة أخرى فى عدة فصول وصور قوية بعض ما ينتاب الانسانية من أسباب المخاوف والروع من جراء تصور الحياة الأخرى وما وراء الموت . وما زال الموت يروع الأحياء الذين يرون ملايين الموتى يذهبون تباعاً إلى عالم لا يعرف كنهه ، ولكن الأحياء يخضعون حتماً إلى قدرهم . ويبسط لنا المؤلف مختلف المعتقدات والنظريات الانسانية والعلمية فى مسألة الحياة والموت ، فى كل عصر وكل قطر ؛ وهذا القسم أمتع أقسام الكتاب ، ويلاحظ أن التباين فى المعتقدات الانسانية على كر العصور وفى مختلف الأمم لم يمنع من وجود بعض التماثل بين معتقدات الانسان الأول وبين معتقدات أرقى المجتمعات ؛ والظاهر أن هذا التماثل إنما يرجع إلى أن غريزة الفضول والروع لا تختلف فى جوهرها عند الانسان الهمجى والانسان المتمدن ، فكما أن الجميع سواء أمام الحياة والموت ، فكذلك يشعر الجميع بنفس الجزع والفضول والروع

ويحدثنا المؤلف أيضاً عن مختلف النظم والرسوم التى تتبع فى مختلف الأديان والأمم للعمل على سلام الروح ، وتزكية الراحلين عن هذا العالم إلى العالم الآخر



النقد

« محمد »

كتاب الأستاذ توفيق الحكيم
للأستاذ محمد سعيد العريان

أيكون لى أن أكتب عن توفيق الحكيم فى كتابه «محمد» بعد إذ كتب الزيات والرافعى ، أم يكون من فضول القول أن يعرض مثلى لذلك وقد كتب الأستاذان الجليلان فأبلغا وبلغا ما لا مطمح لى وراءه . . . ؟ ولكن كتابا يصنفه « توفيق الحكيم » عن « محمد » جدير بأن يثير الفضول ، وأن يغرى من يقول فيطيل القول . . .

وما لتوفيق الحكيم ولمحمد ؟

أما المؤلف فشابٌ من شباب هذا الجيل دَرَس دراسة أهله فى هذه المدارس المدنية التى تقول لمن يدخلها « أنتَ لستَ من هذه الأمة التى نَسَلَتْ من العرب ، واهتدتْ بهدْى الاسلام ، ونمَتْ من روح الشرق وسِرّ روحانيته ؛ فاذهب فالتمس أمةً غير أمتك تفخر بمجدها وتباهى بماضيها ... ! »

وأما « محمد » فهو ذلك السرُّ الأعلى الذى يستغلق على من لم يتصل بروحانية هذا الشرق ، ويَغْمض على من لم يتعرف سرّ هذا الدين ، ويستخفى على من لم ينشأ موصول النسب بتاريخ الأدب القديم ... وأين توفيق الحكيم من ذلك .. ؟

على أن هذا البون البعيد بين توفيق الحكيم وتاريخ « محمد » هو الذى دعاه إلى أن عدّ نظره إلى بعيد يتنوّر هذا السرّ من مطالعه ، ويستشرف لهذا النور من مشارقه ! فحياة محمد كانت الى قريب وقفا على طائفة من أهل العلم ، لا يتناولها إلا من أوتى كثيراً من الصبر على المعاناة فى استخراجها ، وكثيرا من القدرة على تنقيتها من فضول القول وحَشْو الرواة وَلَغْو القُصّاص ، وقلّ من يملك القدرة والصبر على مثل ذلك ؛ ثم جاءت طائفة من كرام العلماء فجهدوا جهدهم فى جلاء هذا التاريخ والكشف عنه ، فكتب المرحوم الخضرى بك ، وكتب جاد المولى بك ، وكتب الدكتور هيكل ، وكتب رضا ، فبلغوا مبلغهم فى ذلك ، واستطاع الناس أن يقرأوا « السيرة » كما ينبغى أن تُقرأ ، وأن يعرفوا من تاريخ الرسول ما لم يكن يعرف إلا الخاصة من علماء هذا الدين .

ولكن أتُرى هؤلاء العلماء — على ما بلغوا من التوفيق فيما جاهدوا ، وما أصابوا من الاجادة فيما عملوا — قد استطاعوا أن يحملوا واحداً لا يهتم بسيرة الرسول على أن يقرأ سيرة الرسول ، أو دعوا نفرا من شبابنا الذين لا يحسنون إلا اللهو والعبث الى التماس الجِد فى حياة محمد وابتغاء المُثُل العليا فى تاريخه . . . ؟ لو أن واحداً من هؤلاء الشباب قرأ شيئاً من ذلك لأفاد وانبعثتْ نفسه ، ولكن أين ما يحمله على أن يقرأ ... ؟ إن هذه الكتب على ما أُجِدَت قد عجزت أو كادت عن اجتذاب هذا النوع من الشباب الذى لا يعرف شيئاً عن محمد ولا يهتمّ أن يعرف ؛ ولكنْ لرجل الفن سبيلا غير ذلك ، وقد عرف توفيق الحكيم سبيله

***

قصد المؤلف من كتابه الى عرض حياة الرسول الكريم عرضاً يكشف عن دقائقها ويجلو صورها على أسلوب من الفن بعيد عن فلسفة العالِم وتحقيق المؤرخ ، على أن فيه الفلسفةَ وفيه التاريخ كما ترى الحادثة بصورتها فى حياتنا العادية مرئية مسموعة ، تفعل فعلها فى النفس وتترك أثرها الملحِّ من غير تمايق ولا بيان ؛ والأستاذ توفيق فى فنّه باعٌ وذراع . . . فهو قد درس « القصة » دراسة العلم ، وفقِهَها فِقْه الأدب ، وعالجها علاج الفنان المبتكِر ، وانتج فيها إنتاجا سيخلد به بين أدباء العربية ؛ ولا أغلو إذا قلت إننى لم أقرأ حِوارا تمثيلياً فى العربية يعجبنى ويلذّنى مثل حِوارٍ يصنعه توفيق الحكيم

بهذه المقدرة الفنية قرأ توفيق ما كتب القدماء عن السيرة ، وبحاسة الفنان تمثلت له (مناظرها) كما نقلها في كتابه . وهو ضرب من الرواية لا نستطيع أن نضع له اسما من أسماء الرواية ، فهو ليس قصة ، وهو ليس رواية ، وهو ليس ترجمة تاريخية ، ولكنه منها جميعاً ؛ وهو مناظر حوارية ، يباعد بينها الزمان والمكان ، وتجمع بينها وحدة الموضوع والغرض ؛ على أنه ليس لمؤلفها شيء من لغة الحوار ولا أسلوب الكلام ، فليس له منها أكثر مما للمصور يرسم لك جزءاً من الزمن في ورقة ، لا ينقل إليك الزمان الماضي ولكن ينقلك اليه ، فاذا أنت ترى منه أكثر مما تريك الصورة ، وتسمع منه ما لا يُسمعك الرسم الصامت

ولا شك أن المؤلف قد جهد جهداً غير يسير في إخراج كتابه على ما يشتهي ، فهو نوع لم يُسبَق اليه ، وباب اخترعه في فن الرواية ليس له حدود مرسومة تهديه السبيل ؛ هـذا إلى أن الموضوع دقيق ، يقتضي الصبر والأناة وحسن الاحتيال ؛ وما ظنك بالكاتب المسلم يؤلف شبه رواية عن محمد ، يجرى الكلام فيها على لسانه من غير أن يخترع أو يتزيد ؛ ثم هو مع ذلك يحاول أن يرضى الفن ويسلم بدينه في وقت معا . . . ؟ ولكن المؤلف بسبيل هذا الفن قد تصرف في موضعين : أما أولها فانه كان يجد بعض ما روى عن النبي محكياً بلغة الخبر لا بلغة الحديث ، واتجاهه في الموضوع أن يجعل القصة حواراً : كلاماً يجيب كلاما ، وخبراً يرد على خبر ، فلم يجد أمامه إلا أن يترجم الخبر إلى لغة الكلام لتستقيم له طريقته في الأداء . فمن ذلك مثل ماتقول كتب السيرة : « استأذن فلان على النبي ، فأذن له . » يؤديه المؤلف حواراً كما يلي :

— : إيذن لفلان يارسول الله ...

— : أذنت

وهذا وإن لم يكن قول النبي — لأن عبارته في الاذن لم تنقل إلينا في الحديث — جائز فيما أراه ، فهو باب من رواية الحديث بالمعنى ، وقد أجازها رجاله . على أن هذا النوع في الكتاب قليل جداً لا يتجاوز بضع عبارات ؛ ولعل أطول عبارة أجراها المؤلف على لسان النبي ، هي ذلك الدعاء الذي ترجم له كتاب السيرة بقولهم : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء ... » فرأى المؤلف من تمام موضوعه أن يجعل على لسان النبي كلاماً يدعو به ربه في تحنثه (ص ٣١) ، وأحسب أن المؤلف كان كثير الحرج في مثل ذاك ، فاني لأحس في أكثر من موضع من الكتاب أن كلاماً هناك كان ينبغي أن يقوله محمد فلم يقله (المنظر الثالث ف ١ ، النبي وورقة بن نوفل ص ٣٧)

أما الوضع الثاني الذي تصرف فيه المؤلف ، ففي ترتيب مناظر الكتاب ، فهو لم يلزم الترتيب الزمني الذي جرت عليه السيرة ، فقدم وأخر ، ومازج حوادث وحوادث ؛ وليس في هذا — على إجماله — ما يعيب المؤلف ، فهو لم يقصد إلى أن تكون للكتاب وحدة القصة ، بحيث تنبني حادثة على حادثة ، وتأتي مقدمة بنتيجة ، بل جرى على أن يجعله مناظر يعطى كل منظر منها أو مناظر صورة خاصة لفكرة أو حادثة بعينها ، ثم أن يكون للقارىء من مجموع هذه الصور في النهاية ، صورة محدودة للنبي الكريم كما يجب أن يعرفها المسلم

الآن قد فرغت من عرض الكتاب كما أراد مؤلفه وكما دلني على نفسه ، وإني لأشهد أن مؤلفه قد وُفق توفيقاً كبيراً فيما حاول ، وبلغ بهذا الكتاب ما لا يبلغ غيره ؛ وما أحسب أن لي في هذه الناحية أن أتكلم عن توفيق الحكيم في فنه ، فمن للمرية في فن الرواية مثل توفيق ؟ على أن هذا الكتاب باب جديد هو زاده وأنشأه في فن القصة ، فمن الفضول أن تقول له : أنت اخترعت وأنت لم تبلغ حد الكمال . . . !

ولكن طابع توفيق الحكيم وشخصيته الفنية لم يكونا ظاهرين مميزين في أسلوب الحوار وفي تساوق القصة ظهورها وتميزها في سائر ما ألف . وسر ذلك واضح ، فهو هنا لم يضع الكلام ، ولم يخترع الحادثة ، بل نقل وصنف ، وداخل ومازج ، وإنما تجد طابعه وشخصيته حيث يجد لنفسه الحرية فيما يقول أو فيما يضع : (إقرأ الحوار بين إبليس والحية ص ١٥٣ — ١٥٧ ، وموت أبي طالب ، وغزوة بدر ، وحديث الافك ، وعائشة الغيور) فانك واجد فيها وفي كثير غيرها روحاً وحياة وفناً ، فكأنك معها ترى وتسمع وتحس

وأكثر الكتاب من لغة الرواة ، لائم بينها المؤلف ما استطاع ليربطها على أسلوب من البيان منسجم ، فأى جهد

حمل من ذاك ؟ . . . ولكن عبارات وكلمات نقلت على غير وجهها مما أخطأ الأقدمون فى نسخه ، وعبارات وكلمات جاءت متداخلة من وضع المؤلف ، فأخلت بنظم الكلام فى غير موضع ، ونبا بها مكانها من ذلك البيان العربى المشرق . على أن ذلك لا يعدو بضع عشرة كلمة فى الكتاب كله ، فما نراها إلى جانبه بشىء ذى بال

وقد كان جهد المؤلف كبيراً فى ربط الروايات المختلفة والتوفيق بينها ، ليخلص منها إلى الرأى الذى يرى ؛ وكان إلى ذلك حريصاً على أن تكون (المناظر) قليلة بقدر ما يتأتى له ، فجاء من ذلك أن يجعل الحوار فى منظر واحد لأكثر من موضوع ، وإذ كان الحديث كلُّه بين المتحاورين من الآثار المروية – لم يغير ذلك شيئاً من نصّ الكلام كما نقله السلف ، ولكنه غير جوّه فتغير من ذلك مدلوله ؛ فمن ذلك حديث النبى عن زوجاته فى الجنة ، إلى خديجة وهى تُحتضر ، (وفاة خديجة ص ١٠٠) ؛ ومنه حديث : « حُبِّب إلىّ الطيب والنساء » روايتُه على مسمع عائشة فى غيرتها المشبوبة وقد جاءها النبى يهمّ أن يتزوج جويرية بنت الحارث . . . !

وجاء فى خبر عثمان بن مظعون أن ملاحاةً كانت بينه وبين لبيد بن ربيعة قبل هجرته إلى الحبشة ، وأحسب ذلك كان بين الهجرتين ؛ فقد كان عثمان على رأس الفوج الأول إلى الحبشة ، ثم عاد فاستجار الوليد بن المغيرة حيناً ، ثم خلع جوارَه وكان بينه وبين لبيد الشاعر ما كان بعد خلعه جوارَ الوليد ، ثم هاجر ثانية إلى الحبشة (ص ١٠٥)

ونقل الكتاب فى حديث الافك (ص ٣٧٦ — ٣٧٧) أن أمّ مِسطح قالت : تَعس مسطح . إذ وجدت ما وجدت فى وجه عائشة من إعياء المرض ؛ والذى أذكره أن أم مسطح قالت ذلك لغير هذا السبب ، ولا أرى داعية للعدول عن المأثور فى الرواية

أما بعد ، فما حاولت بما أسلفت أن أنقد ، ولو أننى حاولتُ لما وجدت ؛ وإنما أذكر هذه الهنات كشهادة على براءة الكتاب وكماله ؛ وحسْبُ توفيق الحكيم أن يخرج كتاباً عن محمد على نهج جديد فى الفن ، ثم لا يجد الناقد فيه غير ما قدّمت ، وإنه لتوفيق من الله أن يتهيأ لحياة محمد أديب كبير مثل توفيق يربط أسمى ما فى الفن بأقدس ما فى تاريخ الاسلام . وما أحسبنا – وهذا الكتاب بين أيدينا – سنشكو القطيعة بعد اليوم بين شبابنا الذين يعشقون الجديد ويقدرون الفن ، وبين سيرة النبى الكريم . وإنى وقد فرغت من قراءة هذا الكتاب منذ قليل لأشعر بالحنين الى الساعات السعيدة التى قضيتها منه كأنى أعيش فى عصر النبوّة ، وما أرى هذا الحنين سيقتضى حتى أعود الى الكتاب فأقرأه مرة ومرة ومرات ، حتى أروى ما بنفسى من ظمأ الى هذا الكوثر العذب ، وهيهات أن أشعر بعدُ بأنى شربت حتى رَويت . . .

(شبرا) محمد سعيد العريان

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة إلى كتب دراسية

تعلن الوزارة عن حاجتها إلى كتاب فى الجغرافية باللغة العربية لكل سنة من السنتين الأولى والثانية بمدارس التجارة المتوسطة وكتاب فى التاريخ باللغة العربية أيضاً للسنة الأولى بهذه المدارس ، على أن توضع هذه الكتب وفقاً للمنهج الجديد لهذه المدارس ، وطبقاً للتوجيهات الموضوعة والموجودة منها صور بادارة المخازن تحت طلب المؤلفين — وأن تقدم للوزارة فى ميعاد غايته آخر مايو سنة ١٩٣٦

والكتب التى يقع عليها الاختيار ستشترى الوزارة حق تأليفها وفقاً للقرار الوزارى رقم ٣٧٥١ الذى يمكن طلبه من ادارة المخازن أو الاطلاع عليه بها

وكل كتاب تقرره الوزارة وتشترى حق تأليفه بعد أن تعدله لجنة الفحص تعديلا ذا شأن سيخصم من مبلغ شراء حق تأليفه عشرون فى المائة تمنحها الوزارة مكافأة للجنة على عملها — أما الكتاب الذى يتقرر بغير تعديل أو بتعديل غير ذى شأن فلا تمنح اللجنة مكافأة عنه